

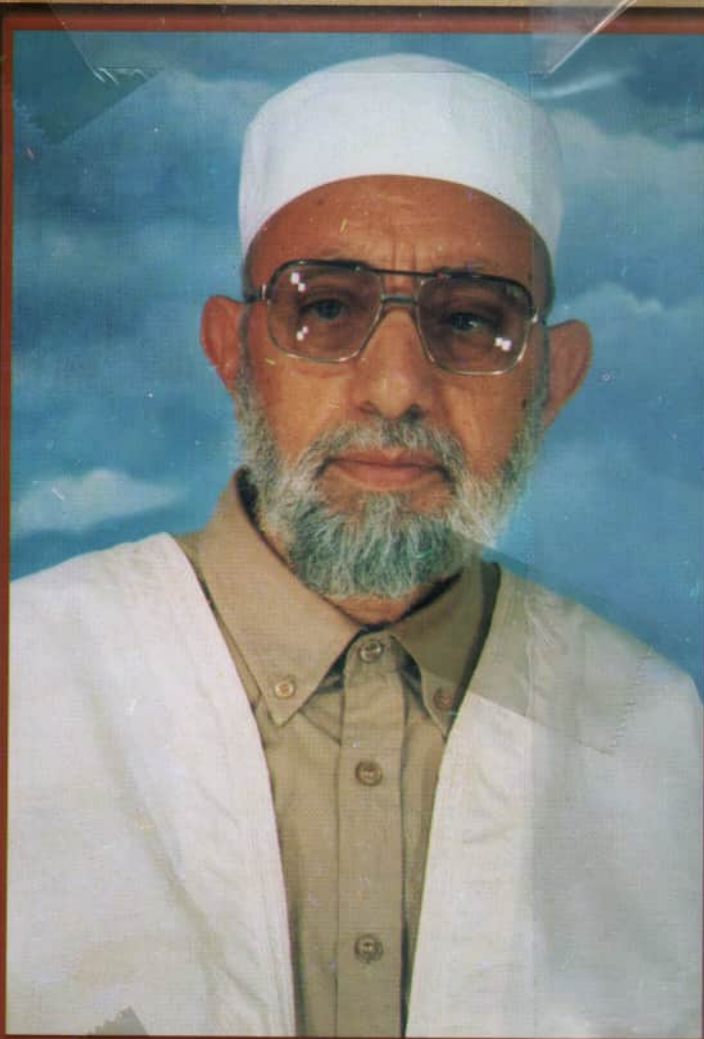
اَصْنَالِ الْفِكْرَ الْاَصْلَ الْاَحْيَ

لِلشَّيْخِ حَمَّوْنِ عَسْكَرِ

رَحْمَةُ اللهِ
1917م — 2005م

بقلم
كبير الحاج سعيد اعوشيت

824



الشیخ حمود بن عسکر فخر

أصالة الفكر الإصلاحي

للشيخ حمود بن عمر فخار

رحمه الله

1917م - 2005م

بقلم

بكير بن الحاج سعيد أعوش

- الإهداء -

إلى روح شيخنا المرحوم حمود بن عمر فخار .
وإلى أخينا المرحوم قاسم بن الحاج سعيد أعوش
وإلى رجال الإصلاح والتعليم والأصدقاء كافة .
إلى هؤلاء الذين ضحوا بالنفس و النفيس لغرس الأخلاق
القرآنية، عقيدة وسلوكا في ضمير الأمة .
أهدي لهم هذه الصفحات من ذاكرة التاريخ .

- بسم الله الرحمن الرحيم -

{ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون } (البقرة: 141)
(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل: 125)
(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) (فصلت: 33)
{ إن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية ، فإنما يكلف الناس والحياة واللغة و الشرائع ضد طبيعتها } (1)
واختلاف العلماء رحمة وقديماً قيل : (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) و ما مثل المذاهب الإسلامية إلا كالدول الإسلامية، ومن يريد إلغاء المذاهب كمن يريد إلغاء الحدود، وليس ذلك بإمكان (2)

(1): د.يوسف القرضاوي .الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف ص: 161

(2): الشيخ حمو بن عمر فخار وقفات ومواقف ص: 261

— مقدمة —

للشيخ : الشيخ صالح الحاج عمر بن صالح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فعندما شرفني الأستاذ أعوش بكير بن سعيد، أن أفتح هذا الكتاب بمقدمة، وجدت نفسي في حرج أمام الأقلام التي تعودت الكتابة في مواضيع مختلفة، وأنا لست من هؤلاء الكتاب المختصين في الكتابة كفضيلة المرحوم الشيخ حمو بن عمر فخار رحمه الله .

لقد عشت لحظات في حالة تردد ، إلا أن الأستاذ الكريم أعوش بكير، ألح علي عدة مرات، فلبيت رغبته. ماذا أقول فيما كتب حول حياة الشيخ حمو فخار رحمه الله؟ إن ما كتبه يعتبر صفحة من صفحات تاريخ أمتنا الإسلامية التي شرفها الله عز وجل، برسالة القرآن الكريم الذي يعد أعظم و أكمل دستور للبشرية قاطبة في الأرض.

وهكذا نجد أن سيرة فضيلة الشيخ حمو فخار سيرة كفاح ونضال وتضحية في سبيل تجسيد رسالة القرآن الكريم؛ سلوكا صالحا في الإنسان ذاته وأسرته ومجتمعه ليتحقق المجتمع المسلم الصالح كله إن شاء الله .

إن فضيلة الشيخ حمو فخار رحمه الله ، من الشخصيات القليلة في تاريخنا المعاصر، وهو يجمع بين العلم النافع، والعمل الصالح، لقد وهبه الله إيماناً راسخاً وصدقاً خالصاً، وإرادة قوية، وذكاء اجتماعياً وتواضعاً وحسن الخلق مع جميع إخوانه مهما تباينت مواقفهم في معالجة المشاكل الاجتماعية، إذ يصدق فيه حديث الرسول الكريم { أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً }.

إن هذا الكتاب يحمل في مضامينه الجوهرية تاريخ الحركة الإصلاحية بغرداية وميزاب ويُعدّ الشيخ حمو فخار رحمه الله ، أحد روادها، ولا يمكن إدراك الأبعاد الجوهرية لهذه الشخصية إلا في أطرها التاريخية والاجتماعية كما تؤكد الدراسات العلمية هذه الحقيقة.

ومن هنا نجد القرآن الكريم قد حث المسلمين على دراسة التاريخ لأخذ العبر من الأمم الغابرة وتوظيفها في المجال التربوي يقول الله عز وجل: { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } (يوسف: 111)

وأخيراً أتمنى للأستاذ أعوش بكير الاستمرار والتوفيق في مجال التأليف الذي يعتبر جزءاً حيويًا من تاريخنا القديم والحديث. ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه يعكس شخصيتنا. وأختتم هذه المقدمة الموجزة بقول الله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} (فصلت: 33) صدق الله العظيم . والسلام.

- مدخل البحث -

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء و المرسلين؛ سيدنا محمد بن عبد الله الذي أرسله الله للعالمين بشيرا ونذيرا القائل فيه : { وإنك لعلی خلق عظیم } (القلم: 4) .

أما بعد: فإن عظمة الله عزوجل قد تجلت في الظواهر الطبيعية المتباينة التي خلقها الخالق في العالم، والظواهر الإنسانية المختلفة التي أفرزت عدة حضارات و ثقافات متميزة بعضها عن البعض في تاريخ البشرية .

إن هذه الحضارات عرفت عدة صراعات مادية وفكرية ودينية منذ ظهورها إلى يومنا هذا لا سيما بين الإسلام وأعدائه، وأكبر دليل على ذلك الصور المسيئة للرسول الكريم (ﷺ) ، التي رسمت اليوم في أوروبا بدعوى حرية الرأي والصحافة وعدم كبت الحريّات الفردية .

نحن نقول : إن العالم الإسلامي في حاجة إلى الوحدة وجمع صفوفه ومذاهبه للرد على أعداء الإسلام .

وعلينا أن نلتزم بأدب الاختلاف و الإنصاف، معتصمين قولاً وعملاً بروح هذه الآية الكريمة : { وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون } (المؤمنون: 52) .

وفي ظل هذه الآية الكريمة نقدم للقارئ الكريم، هذا الكتاب الذي يعد لبنة جديدة تضاف إلى ثقافتها الإسلامية الأصيلة التي جسمها الشيخ حمو بن عمر فخار رحمه الله، من خلال حياته الإصلاحية، وتصانيفه وآثاره

الفكرية التي عالجت مواضيع دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية .

إن هذا التراث الفكري في حاجة إلى تحليل من طرف أهل الاختصاص لإبراز قيمته المعرفية والاجتماعية التي تلقي الضوء على تاريخ الحركة الصلاحية بميزاب والجزائر والعالم.

إن هذه الحركة الإصلاحية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمحي من ذاكرة المجتمع، فإذا فقدناها فقدنا ماضينا، وحاضرنا و مستقبلنا.

والتاريخ هو ذاكرة حية، لحوادث الشعوب والأمم وعظمة رجالها.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع: {إنَّ الكُلَّ اصطلاح علينا، كي يقيم ملكه على أنقاضنا... لم ينس موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي، التاريخ الذي مضى عندما قال عشية انتصاره على عبد الناصر سنة 1967 : لقد تأرنا ليهود المدينة وخبير (1)

يقول الشاعر رمضان حمود في هذا المسار: {إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها، وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها بيدها وألقتها في يد غيرها } (2) .

1-المصدر السابق : ص 120

2-د محمد ناصر رمضان حمود الشاعر الثائر
ص:123

وهكذا نلاحظ أنّ أبناء أمتنا تفصلهم فجوة كبيرة عن تاريخهم المعاصر فضلا عن ماضيهم المجيد .
وأخيرا نأمل أن يُساهم هذا الكتاب في ترسيخ ذاكرة المجتمع، فنتعلم منها الأجيال دروسا عملية صالحة في حاضرها ومستقبلها.

وفقنا الله وسدّد خطانا إلى طريق الخير والصالح { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا } (الكهف: 110) صدق الله العظيم.

باباالسعد الشرقي غرداية يوم الجمعة :

18 محرم 1427هـ الموافق لـ 17 فيفري 2006م

الفصل الأول

لمحات

عن

شخصية فضيلة

الشيخ جوين عمر فخار

الفكر الإصلاحى : مفهومه و دلالتـه

حينما نتأمل تاريخ العالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، نلاحظ أنه مر على ثورات اجتماعية سواء كانت دينية أو فكرية أو أساسية أو اقتصادية .

إن هذه الثورات تعبر عن الصراع الاجتماعى بين القديم والجديد والتطور و الركود، والتجديد والمحافظة. وهكذا فإن الجزائر لم تكن بعيدة عن هذا الصراع، وكذلك ميزاب لم يكن فى منأى عن هذا التفاعل الاجتماعى الحضارى فى العالم الإسلامى مشرقه ومغربـه.

وهذا الصراع الحضارى يعود مصدره إلى عدة عوامل متشابهة متداخلة، تجسمها الحضارة الغربية بكل أبعادها المادية والدينية و الثقافة، تلك الحضارة أناخت بكلكلها على الأمة الجزائرية شمالها وجنوبها .

وهكذا فإن الإنسان الجزائرى، أمسى يعيش معيشة ازدواجية فى سلوكه اليومى، بسبب أصالته المتجذرة فى العقيدة الإسلامية، وبين الحضارة الغربية و أبعادها الثقافية والاجتماعية؛ أى ما يصطلح عليه الإستلاب الغربى الذى لا يزال قائما إلى هذه الساعة.

إن هذه الحالة الازدواجية عجلت بظهور الحركة الإصلاحية فى شمال الجزائر بزعامة الإمام ابن باديس

رحمه الله (1887/1940م)، وأما في الجنوب فقد تزعم تلك الحركة الإصلاحية الإمام إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله (1899-1981م) .

إلا أن هناك سؤالاً يفرض نفسه على كل إنسان واع، إذا قرأ حياة شيخنا المرحوم فخار حمو باعتباره أحد رواد الفكر الإصلاحي بميزاب والجزائر، فهذا السؤال الإشكالي يمثل الدلالة اللغوية الإصلاحية التي تدفعنا إلى أن نحدد ماهيتها، والواقع أن كل إنسان مدفوع إلى التأمل والتفكير عندما يصطدم بمفاهيم لغوية ومشاكل فكرية، تثير فضوله المعرفي للوصول إلى علتها القصوى.

ومن هنا نرى أن الدلالة الإصلاحية يقصدها، إزالة مظاهر الفساد في المجال الديني و الخُلقي والاجتماعي والبدع من العقيدة الدينية وغرس الأخلاق القرآنية في سلوك الأفراد والمجتمع بطريقة تدريجية .

يقول الشيخ عبد الرحمن بكلي رحمه الله (1901م/1986م) .في كتابه مسيرة الإصلاح في جيل (ص 22 / 26) مايلي :

ليس مبدأ الإصلاح غير تعاليم الإسلام الصحيحة، وتطبيقها تطبيقاً يلائم سماعته و يساير سنة النشوء والارتقاء في هذه الحياة ويتفق و الغاية التي من أجلها كان الإسلام دستور البشرية الخالد.

إنما اختلاف المدارك في فهم تلك التعاليم على حقيقتها، جعل الناس إزاءها قسمين : مصلح مجاهد ، ومقلد جامد .

و المصلح يجب أن يكون:

عزيز النفس بعيد الهمة يعمل الخير والصالح بدافع
الغيرة على الفضيلة و الشفقة على خلق الله، مستقيم
السمت، أن يقدم ما كان عاما على ما كان خاصا و لو
أدى ذلك إلى التضحية ببعض فوائده الشخصية مقابل
المصلحة العامة.

إن هذه المقدمة تعتبر ضرورية لأنها تساعد القارئ
الكريم على إدراك وفهم الفكر الإصلاحى الذي يبرز
ويجسم شخصية أستاذنا المرحوم الشيخ حمو فخار
رحمه الله، ضمن الإطار التاريخي و الاجتماعى للذين
يحددان الملامح العامة، لسلوك الأفراد والمجتمعات
والهيئات ماديا وفكريا واجتماعيا، بدون استثناء.

1- لمحة عن حياة الشيخ حمو بن عمر فخار رحمه الله . وبذوره الإصلاحية:

ولد الشيخ فخار حمو بن عمر بن اسماعيل بغرداية في
15 ديسمبر 1917م والدته هي السيدة الكريمة منه بنت
حمو أشقبقب .

فقد نشأ رحمه الله، في أسرة أصيلة محافظة على
الأخلاق القرآنية و التربية الإسلامية الصالحة الهادفة
إلى غرس الإيمان الصادق بالله العظيم و بالرسول
الكريم محمد (ﷺ) وبيوم الجزاء الإلهي: النعيم أو
الجحيم.

إن الوظيفة الأساسية للأسرة المسلمة بميزاب تسعى
دائما لإعداد الأجيال لتحمل المسؤولية الاجتماعية

والأدبية، وخلق التواصل الحضاري بين الماضي والحاضر والمستقبل.

إن شيخنا رحمه الله عاش يتيماً، فكفله عمه إسماعيل، وأخوه محمد بن عمر رحمهما الله، فقد درس علومه الابتدائية بقسنطينة بدار آل معراض وبعد ذلك دخل كتاتيب : الشيخ حمو بن بابه و الشيخ صالح بابهن والشيخ باحمد بن يعقوب، و حينما افتتحت مدرسة الإصلاح الابتدائية سنة 1932م بحي بابيزي برئاسة الشيخ صالح بن قاسم بابكر رحمه الله (1904م/1976م). انضم إليها فختم القرآن الكريم فيها. ففي هذه المرحلة الابتدائية ، بدأت ملامح شخصيته بالظهور، وبرزت مواهبه الفكرية فوعى الحركة الإصلاحية بكل أبعادها الدينية و الاجتماعية والسياسية . وفي هذا المنظور التاريخي، لابد أن نشير إلى أن وادي ميزاب قد سادته حركتان اجتماعيتان:

أ- حركة تقليدية محافظة:

بزعامة الشيخ حمو بن باحمد بابا أو موسى رحمه الله (1871م/1957م) له عدة كتب أهمها- ترغيب الراهب وترهيب الراغب (مخ) وسيرة العزابة (مخ) و كتاب الحجاج الدامغة لبدع الفئة الزائغة الذي عارض فيه الحركة الإصلاحية . فهذه الحركة المحافظة، قد رفضت الحضارة الغربية المعاصرة جملة وتفصيلاً، باعتبارها مظهراً من مظاهر التنصير سواء كانت مادية كالكهرباء والتصوير والتلفون أو ثقافية. كتعليم وتعلم اللغة الفرنسية أو المسرح إلخ. *

ونحن نعتقد أن هذه الحركة كان هدفها هو المحافظة على الشخصية الإسلامية وعدم الذوبان في الحضارة الغربية بالنسبة إلى أوائلها رحمهم الله .

وفي ضوء هذا لابد، أن نشير إلى أن هذه الحركة المحافظة قد تأثرت بالحركة الإصلاحية ورجالها لاسيما الشيخ صالح بابكر والشيخ مصباح بنوح* والشيخ إبراهيم بيوض رحمه الله، حيث كان صديقا حميما للسيد داود ابن قاسم حواش رحمه الله (1904م/1990م) ، فقد مثل دورا هاما في إصلاح التعليم المسجدي في مجال المحاضر وتعليم البنات، وله الفضل الكبير في إنشاء المدارس الابتدائية والمتوسطة ومعهد عمي سعيد الذي أسسه سنة 1977م.

إن هذه المؤسسات تقف على أسس إصلاحية اليوم، وهذا ما سعت إليه الحركة الإصلاحية قديما منذ ظهورها سنة 1922م بفضل الإمام الشيخ بيوض رحمه الله، الذي يصف أخاه حواش داود بالرجل الذكي القوي في مجتمعنا.

ب- الحركة الثانية: وهي الحركة الإصلاحية التي تزعمها الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله

*- معجم أعلام الإباضية جمعية التراث ج2 -4

*- الشيخ بنوح مصباح رحمه الله من مواليد 1909م بغرداية وتوفي 16 ماي 2006م، يعتبر عنصرا فعالا في العزابة و أحد أركان الحركة الإصلاحية بغرداية والجزائر. أهم آثاره الفكرية: خطب يوم الجمعة.

(1899م/1981م) حيث ترى أن هدفها هو المحافظة على أصالة الإسلام الذي يدعونا إلى العلم والقوة الفكرية والمادية ونبذ جميع الأفكار المتحجرة الفاسدة التي تتنافى مع روح الاجتهاد الذي يكفل للشخصية الإسلامية، الحياة المتطورة والقوة إزاء القضايا العصرية، إذن فلا بد من الأخذ بأسباب الحضارة الغربية مادام أمرها لا يتعارض مع النصوص الشرعية قرآنا وسنة .

ويمكننا أن نقول : إن الحركة الإصلاحية قد تركت بصمات قوية في سلوك المجتمع الميزابي بين مؤيد ومعارض ومحاييد.

إن هذه الظاهرة الاجتماعية العامة . تتم عن استمرار الحياة بين الجديد والقديم، وبين التطور والثبات في كل المجتمعات.

فالمجتمع الميزابي لا يشذ عن طبيعة المجتمع البشري الذي يقف دائما أمام القضايا الجديدة موقف صراع بين القبول والرفض .

2- أثر معهد الحياة في الشيخ حمو فخار :

إن الشيخ بيوض رحمه الله دعا في حركته الإصلاحية إلى تأسيس المدارس والمعاهد العربية الحرة التي تهتم بتربية النشء تربية قرآنية، فهذا في نظره هو الحل الوحيد والأسلم لمواجهة الثقافة الفرنسية الهادفة إلى تنصير الشخصية الإسلامية الجزائرية و تعقيم أصالتها . ومن هنا قام بفتح أول معهد عربي إسلامي في القرارة وذلك يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ الموافق لـ 21 ماي 1925م.

إن هذا المعهد كان تحت إدارة وتسيير الشيخ بيوض بحيث كان معلماً؛ مهذباً وموجهاً للطلبة، معتمداً في ذلك على التربية الإسلامية الصالحة الهادفة إلى تكوين رجال مخلصين مصلحين حاملين لواء القرآن الكريم.

إن هذا المعهد قد ترك صدى في ميزاب والجزائر كلها لأنه يمثل ثورة التحدي والتجديد أمام الأوضاع الراكدة آنذاك.

إن معهد الحياة والمدارس الخاصة في ميزاب قد فتحت أبوابها لكل أبناء المسلمين مهما تباينت مذاهبهم الدينية بشرط الإلتزام بالنظام الداخلي لتلك المؤسسات التربوية كالمؤسسات الوطنية .

وفي ضوء هذه التطورات الاجتماعية أرسل شيخنا حمو فخار إلى القرارة وذلك سنة 1938م من قبل عمه إسماعيل فاستظهر القرآن الكريم كله في نفس السنة .

وفي سنة 1939م دخل معهد الحياة فمكث في أحضانه ثماني سنوات، يشرب من مناهله العربية الإسلامية والشرعية والتاريخية والعلمية، وتتلمذ على شيوخه لاسيما الشيخ عدون ،والشيخ بيوض رحمهما الله اللذين أثرا في شخصيته ،خلقيا، واجتماعيا.

وهكذا فإن السنوات الثمانية التي قضاها مع أستاذه الشيخ بيوض، قد أخذت منعطفا حاسما، تجلى في تعميق و تأصيل ثقافته العربية الإسلامية، لاسيما العلوم العربية والشرعية، وبعض العلوم الاجتماعية والمنطقية.

إن ماكتبه الشيخ حمو فخار دليل واضح على ما قلناه بحيث ساهم مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الأدبية

والثقافية والرياضية و الكشفية في القرارة وغرداية ،
لاسيما دوره الإيجابي في تحرير مجلة الشباب بالمعهد
و أسس كذلك مجلة أخرى بغرداية سماها - إرم ذات
العماد -.

إن الشيخ حمو فخار رحمه الله، يعد من رواد الأدب
العربي الأصيل في عصرنا هذا ويقول عنه الدكتور
محمد ناصر مايلي : { إذا كان النقاد يقولون: إن
الأسلوب هو الرجل، فإن هذه المقولة بحق وصدق
تتطبق على الشيخ حمو، حيث تتجلى الثقافة العربية
الأصيلة متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية
الشريفة، و يغدو القرآن الكريم تاج هذه الثقافة والحق
أقول دون مجاملة: (إن الشيخ حمو يعد في نظري شيخ
الأدب في وادي ميزاب في العصر الحديث ولا أتخفظ
فيما أقول، و لنقرأ معا هذا النموذج الذي نفتبسه من
رسالة كتبها إلى شيخه ببيض مهنا بعد رجوع ممتلكاته
إليه :{أستاذي إنكم اقتبستم من صبر أولي العزم، ولم
تستعجل لهم ، وإنك صبرت نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولم تعد عيناك عنهم
تريد زينة الحياة الدنيا،و لأنك لم تطع من أغفل الله قلبه
عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطا) (كان حديثا
حسنا ص:6) .

إن هذا الأسلوب العربي يمتاز بصدق العاطفة المرهفة
وحسن السبك ومثانة الأسلوب العربي الفصيح والقدرة
البرهانية و الاستشهاد من القرآن الكريم والسنة الشريفة.
إن النص الذي رأيناه سابقا يعكس لنا عدة آيات قرآنية

1- (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (الأحقاف: 35)

2- (واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف: 28)
....الخ

وفي ظل هذه الآيات القرآنية، لا بد أن نذكر أن الشيخ حمو فخار قد ساهم في الفكر الإسلامي من خلال كتبه القيمة منها :

من خطب الجمعة في ثلاثة أجزاء - من خطب الأعياد -
كان حديثا حسنا - وقفات و مواقف - الشيخ صالح بابكر -
الشيخ بوعروه باباتمر - محاضرة في الطلاق -
ماذا بعد الدف - بيان في مسألة الصوم والإفطار -
وهناك عدة رسائل ومحاضرات لم تطبع بعد وتنتظر الضوء من أهل الاختصاص والإحسان إن شاء الله .

3- رؤيته العامة في أهداف الإصلاح :

ووفاء لحقه ، وجهاده الإصلاحي في بناء الأمة نورد ما كتبه الشيخ حمو فخار رحمه الله ، في أهداف الإصلاح بحيث تلقى رسالة كريمة من الأخ بكير بن أحمد الجربي التونسي، يسأل فيها عن أهداف الإصلاح والحالة الاجتماعية والتاريخية والثقافية بغرداية فأجابه رحمه الله :

أما عن سؤالك عن أهداف الإصلاح، فلا أحسبك تجهلها فهي نفس أهداف كل إصلاح حقيقي قام لتغيير الأوضاع الفاسدة في كل مجال أمكنه التغيير :

- دينيا: نشر السنة و إماتة البدعة والخرافة.

- ثقافيا: محو الأمية وتعميم الثقافة العربية لغة القرآن.

- **اقتصاديًا:** تطوير التجارة والإسهام في الحرف
 - **إداريًا:** إقحام باب الوظيفة العمومي، كالتعليم الرسمي و القضاء والمحاماة وما شكل ذلك .
 - **اجتماعيًا :** تنظيم مجالس العشائر والأسر، وإصلاح عوائد الأعراس وتشذيب ما يدعو إلى الإسراف والتبذير منها ، وإصلاح ذات البين، وفض المنازعات أيا كان نوعها والدعوة إلى العلاج والتطبيب خاصة في التوليد و التلقيح ضد الأمراض الفتاكة، فقد كان في الأمة ضحايا لا تعد و لا تحصى من جراء الإعتقاد السائد أن استعمال الدواء ينافي التوكل، وأن التعرض للطبيب خاصة المرأة يعد عصياناً و إلقاءً بالنفس إلى التهلكة.
 - و أخيراً **سياسيًا :** خوض المعارك الانتخابية لتولية الأكفاء، و إبعاد الخونة والمرترقة المفتونين بحب الزعامة لإشباع ميولهم، و ملء جيوبهم.
- (المصدر: مواقف ومواقف ص: 107 .)

4- الشيخ حمو فخار :

أخلاقه:

لقد ساهم الشيخ حمو مساهمة فعالة في بناء و إعلاء صرح الإصلاح في غرداية وميزاب والجزائر بل العالم الإسلامي، من خلال أعماله الميدانية الخيرة ، وهو يتميز -رحمه الله- بالإيمان الصادق وحسن الخلق، والإخلاص والعمل الصالح والأسفار في سبيل المشاريع الخيرية الإصلاحية لأجل عزة الأمة ومجدها.

إن دعوة الإسلام إلى الأسفار من الأدلة الناطقة بأن الإسلام هو دين الحياة والحركة والنشاط، وهو يمقت الركود واللامبالاة.

ومن أبرز سماته الخلقية رحمه الله: الحزم و الإرادة القوية، والذكاء الاجتماعي وهو قدرة التكيف مع المشاكل الجديدة . والذكاء في اصطلاح علماء النفس هو قدرة الإنسان على حل المسائل النظرية والعملية، في أقرب وقت، مع إدراك طبائع الأشياء و حذقها، و ماقلناه ينطبق على نشاطه الإصلاحي العملي.

جهاده التربوي والاجتماعي:

إن الشيخ حمو فخار رحمه الله تربطه مع شيخه وأستاذه الشيخ بيوض علاقة أبوية روحية خالصة، وحب تصوفي، وإيمان كلي بالحركة الإصلاحية البيوضية، لنتأمل ما كتبه يقول رحمه الله: { لعل أصدق وصف يمتاز به الشيخ بيوض رحمه الله أنه صانع الرجال ومربي الأجيال، ولم أذكر أنني استغنيت يوماً عن الاغتراف من معارفه وسجاياه رغم طول عشتي له، وكثرة اتصالي به في الحضر والسفر وفي حال الرضا والغضب والحزن والطرب فأنا دوماً أتعلم وهو أبداً يُعَلِّم، وهو الصائغ وأنا المصوغ } (كان حديثاً حسناً ص: 13). ويقول الشيخ حمو فخار في زعيم الحركة الإصلاحية: {{ بيوض غني عن التعريف كما هو غني عن كلمات الترحيب، فجهاده ودروسه هي التي تعلن عليه وتعرفه، والقلوب المغمورة بإجلاله وحبه هي التي

ترحب به وتحقق لقربه، والله هو الذي يؤيده بعزه ونصره}} (كان حديثا حسنا ص: 51).

وفي ضوء هذه الحركة الإصلاحية التي آمن بها الشيخ فخارحمو رحمه الله، إيماننا مطلقا، بزعامة الشيخ بيوض تمكّن شيخنا بكل إخلاص وذكاء، أن يجسد أهداف الحركة الإصلاحية في اللبّات الاجتماعية: الأسرة، العشيرة- المدرسة -المسجد- النوادي الثقافية والرياضية... إلخ . هكذا فإن الشيخ حمو فخار لم يكن منعزلا عن مجتمعه، أو كان يعيش في عالم المثل أي ما يسمى بالنظريات الأفلاطونية، بل كان واقعيًا، يعيش في أمة ولأجلها، بل كان يحتك بكل الفئات الاجتماعية وكان يتميز رحمه الله بحسن الخلق، وطلاقة الوجه و يصدق فيه قول الرسول الكريم { أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا}. فقد شهد له أصدقاؤه وخصومه بهذه الخاصية الخلقية التي ذكرناها.

لقد شمر عن ساعده ليلا ونهارا، لإصلاح سلوك المجتمع من خلال الأخلاق القرآنية التي آمن بها، معتقدا اعتقادا جازما، بأنها هي الحل الوحيد، والعلاج الشافي لكل الآفات الاجتماعية مهما كانت طبيعتها ذاتية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية .

و إذا عدنا إلى جهاده نلاحظ أنه جسم الحركة الإصلاحية في الحقل المسجدي، فقد انضم إلى حلقة العزابة بالمسجد العتيق بغرداية سنة 1962م وفي نفس السنة، أصبح كاتبًا عاما لمجلس عمي سعيد الذي يعتبر الهيئة الدينية لوادي ميزاب. إن هذا المجلس الديني

الأعلى نسبة إلى العالم سعيد علي الجربي المتوفي سنة 898هـ - بغرداية .

إن وظيفة هذا المجلس، الإرشاد الديني وإصدار الفتوى والمحافضة على الأوقاف الإباضية في الجزائر وخارجها.

والجدير بالذكر أن نظام العزابة تُساعده عدة هيئات اجتماعية :

أ- العشيرة : تمثل رابطة الجد الأول وقد تكون الرابطة صداقة قديمة ضمت بعض العائلات إلى تلك العشيرة فانصهرت فيها.

ب- جمعية الشباب : " امصوردان " إن هذه الهيئة الاجتماعية هدفها هو خدمة المصلحة العامة لاسيما المساجد والحراسة .

ج- المجلس الديني للنساء: يضم في عضويته نساء مسلمات خبيرات بالمشاكل النسوية ومعالجتها من المنظور الإسلامي الخالص.

د- وفوق هذا فإن هناك مجلس الأعيان الذي يشكل الهيئة العامة المنبثقة من التنظيم العشائري على مستوى كل مدينة .

يقول الأستاذ عبد الله نوح : { ومجالس الأعيان بوادي ميزاب كانت خلال مدة طويلة من الزمن - حوالي ألف سنة بمثابة مجالس شعبية ديمقراطية تتولى تسيير الشؤون العادية الإدارية والمالية وحفظ الأمن في المدن الميزابية } (النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب ص: 324) .

وفي ضوء هذه الحقائق الاجتماعية التي ذكرناها، فإن الشيخ حمو فخار رحمه الله، قد أدرك بثاقب فكره الواعي، وذكائه الاجتماعي أن التربية الإسلامية الهادفة والأصيلة، يجب أن تنطلق من المسجد باعتباره منارة رشد وهداية ووحدانية بين المسلمين كافة مهما تباينت مذاهبهم الدينية .

لنتأمل مقاله في الهيئة الدينية للمسجد: (وهي الحاملة مشعل الهداية والتوجيه الصحيح، الحريصة على تطهير مجتمعه من كل ما يشينه من فساد في الخلق والدين، العاملة منذ نشأتها على تثقيف أبنائه وتطهير أفكار جماهيره من الآفات الاجتماعية ورواسب التقاليد البالية وانحرافات العصر المستوردة) (وقفات و مواقف ص: 74) .

وهكذا فإن الشيخ حمو فخار، قد اعتمد على المسجد باعتباره منارة ومؤسسة دينية، تربوية، اجتماعية، لكل الناس؛ رجالاً و نساء، شباباً و شيوخاً، مثقفين حاكمين ومحكومين.

إن هذه الحقيقة الاجتماعية والتربوية جعلت الشيخ حمو فخار رائداً ومرشداً بل من السابقين في بناء عدة مساجد في شمال الجزائر وغرداية اعتماداً على قول الله عز وجل: { أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } (المؤمنون: 61) - { إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر } (التوبة: 18) .

وهكذا سعى بكل جهده الفكري، واتصالاته الدائمة مع أهل الخير والإحسان والعلم لتشييد عدة مساجد حيث إن

هذا العمل الصالح المثمر تجلى في بناء مسجد مامه حنه بالغابة ومسجد صلوحة وتاوريت و حواشة والمسجد الكبير ببابا السعد الغربي الذي دشن سنة 1992م فضلا عن المصليات المنتشرة في غرداية هنا و هناك. وهكذا كان الشيخ حمو فخار إماما و خطيبا في تلك المساجد بليغا في خطبه و إرشاداته اليومية المؤثرة في الجمهور بلغته الواضحة، حيث يخاطب ذلك الجمهور تارة بالعربية الفصحى ومرة أخرى باللغة الميزابية والعربية الدارجة، على حسب الجمهور والمناسبات ، فكان رحمه الله يستغل الظروف المحلية والوطنية والعالمية، لمعالجة القضايا الاجتماعية بمنظور إسلامي خالص معتمدا على القرآن الكريم والسنة الشريفة والأدلة التاريخية و الأمثلة الشعبية حينما تقتضي الضرورة.

وفي ضوء هذه الأنوار المسجدية المشرقة، لابد أن نشير إلى جهده التربوي في مجال بناء الشخصية الإسلامية، لقد انخرط رحمه الله في سلك التعليم الحر سنة 1948م بمدرسة الإصلاح الابتدائية ثم أصبح عضوا بارزا فعالا في جمعية الإصلاح، ثم مديرا عاما للمدارس الإصلاحية، بعد وفاة الشيخ صالح بابكر رحمه الله، سنة 1976م.

وفي هذا المنحى التربوي ، فإن شيخنا حمو فخار رحمه الله، تحمّل عبء التعليم بكل إخلاص وتضحية وثبات وإدارة فعالة، لا تعرف المستحيل، هذه الحقيقة تجلت في تدشين عدة مؤسسات تربوية ورياضية من بينها مايلي:

(1) تدشين دار البعثة العلمية بناحية بوشمجان بواحة غرداية يوم 13 أوت 1969م.

(2) وفي سنة 1979م دشّن معهد الإصلاح وفي ذلك يقول رحمه الله: (رأت جمعية الإصلاح المشرفة على التعليم القرآني وما يخدم اللسان العربي المبين منذ العشرينيات في هذه الربوع رأيت بمناسبة اكتمال اللمسات الأخيرة في تشييد ناديها أن تدشنه بإقامة هذا الحفل المتواضع لتقييم عملها في فرع من فروع نشاطها، وهو فرع - معهد الإصلاح - الذي أنشئ للمشاركة في تثقيف الطلاب في مرحلتي المتوسط والثانوي .

إن إنشاء معهد حر، من نقطة الصفر، بإمكانيات محدودة الفرص، وتجهيزه بكل مقومات العصر، لمحاولة تقصم الظهر، لولا قوة العزيمة، ومثانة العقيدة، وابتغاء ما عند الله .) وقفات ومواقف (ص: 81 / 83)

(3) وفي سنة 1986م تم فتح متوسطة البنات وفي التاسع من شهر أوت 1998م وضع الشيخ حمو فخار بيده الكريمة الحجر الأساسي لمتوسطة الإصلاح للبنات لتكون مستقلة عن المدرسة الابتدائية .

(4) إن الشيخ حمو فخار، له واجهة أخرى ساهم فيها وهي تدشين وتنصيب الفرع الرياضي للمصارعة اليابانية بغرداية وذلك سنة 1981م يقول رحمه الله: الرياضي الشاب المسلم أن يعتبر بعد ذلك تداريبه وانتقالاته وانتصاره وانهزامه كل ذلك قرينة يتقرب بها إلى الله، فيجازيه ربنا عليها في الدنيا بالصحة والعافية،

و في الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . لماذا؟ لأن الرياضي برياضته وفي رياضته إنما يهيئ من نفسه وجسده قوة وطاقة لنصرة دين الإسلام بين الأديان) . (وقفات ومواقف ص: 73).

(5) له مجهودات حديثة وفعاله في تنشيط العمل الكشفى في غرداية يقول رحمه الله، في خطاب إثر تدشين الكشفة الإسلامية الجزائرية في الستينات: (ما سعت جمعية الشباب لتحقيقه في بحر سنتها هذه إنشاء فرع الكشفة .

نعم لقد صدق الشاعر إذ يقرر - أن الشباب القانع لاخير فيه، وأن البركة في الشباب الطامح - و أصاب رؤساء الجمعية ومؤسسها إذ جعلوا هذه الحكمة الخالدة شعارا لها باقيا ما بقيت الأهرام) (وقفات ومواقف ص: 54).

وفي ظل هذه الأعمال الحيوية النشيطة الهادفة إلى تنوير الفكر وتهذيب العقل السليم في الجسم السليم القوي، فإن شيخنا المرحوم لم يكن منعزلا وبعيدا عن قضايا أمته الجزائرية والإسلامية و العالمية.. بل كان من دعاة الحركة الإسلامية، مبرزاً أصالة الإسلام الذي يجمع بين الحياة الروحية والمادية، لتتأمل ما قاله حينما استقبل وفدا من علماء باكستان في 05 أفريل 1965م حيث قال رحمه الله: { يسعدنا أن نستقبل أقطابا من علماء الشرف الإسلامي في الغرب الإسلامي لأول مرة في ربوعنا المنعشة إلى أمثالهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. و إنه لمن جميل الصدف أن نستقبلكم بعد أسبوع فقط

من استقبلنا لرواد الفضاء السوفياتية* ، فنحظى في طرف صغير باستقبال أقطاب المادة وأقطاب الروح وليس جمال الصدفة في أن نجتمع بين المادة والروح ولكن أن تختتم بالروح التي قوام الحياة { (وقات ومواقف ص: 243). و هكذا نجد أن الأعمال الصالحة الطيبة التي غرسها الشيخ حمو فخار رحمه الله ، قد اعطت ثمارها الطيبة في المجال الاجتماعي هذه الحقيقة يلمسها الصديق والخصم معا.

ولكي نضيف إلى هذا التحليل الاجتماعي والتربوي والدعوي قيمته الموضوعية الشاملة ، حول الحياة الفكرية لشيخنا المرحوم حمو فخار ، فلا بد من أن نبين رؤيته في المذهب الإباضي و اللامذهبية في الصفحات القادمة لتكتمل الصورة أكثر جلاء، أمام القارئ الكريم.

* إشارة إلى إستقبال رائدة الفضاء السوفياتية فلانتينا يوم الثلاثاء 30مارس 1965م بالمسجد العتيق بغرداية

الفصل الثاني
الإباضية و اللامذهبية
في منظور
الشيخ حمو فخار

- لمحات عن تاريخ المذهب الإباضي:

ليس من السهولة بمكان ما، أن نحلل المذهب الإباضي تحليلًا شاملاً، من حيث تاريخه وعقائده. ولكن سوف نقدم صورة موجزة، عن هذا المذهب من خلال تحليلاتنا العامة، ومن أراد التوسيع والتعمق فعليه بالرجوع إلى بعض المصادر التالية :

- 1- الإباضية في موكب التاريخ. لعلّي يحي معمر
 - 2- مشارق أنوار العقول. للشيخ عبد الله بن حميد السالمي
 - 3- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية - د عوض محمد خليفات
 - 4- الحركة الإباضية في المشرق العربي. لمهدي طالب هاشم
 - 5- السير. لأحمد بن سعيد الشماخي .
- إن الأحداث التاريخية، تؤكد أن المذهب الإباضي قد ظهر في القرن الأول الهجري في البصرة جنوب العراق ويعد من أقدم المذاهب الإسلامية، لأن المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي هو الإمام الكبير أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني المولود بين 22/18 هـ في مدينة فرق العمانية أما وفاته فكانت بالبصرة سنة 93 هـ.

فقد أخذ العلم عن الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله بن عباس و عائشة بنت أبي بكر الصديق، وخادم الرسول (ص) أنس بن مالك رحمه الله .

أما التسمية كما هو مشهور عند الإباضية فقد جاءت من الأمويين الذين نسبوا أنصار جابر بن زيد إلى الإمام عبد الله بن إياض الذي ولد في زمن معاوية بن أبي سفيان (40-60 هـ) أما وفاته فقد كانت أواخر أيام عبد الملك بن مروان المتوفى سنة 86هـ.

يقول الشيخ السالمي رحمه الله:

فما الإباضيون إلا علما لخفاء الحق منا فاعلما
إن المخالفين قد سمونا بذلك غير أننا رضىنا
و أصله أن فتى إياض كان محاميا لنا وماض.
وعلى أي حال فإن المذهب الإباضي يتميز بالأصالة
الإسلامية، يعتمد أساسا على القرآن الكريم والسنة
الشريفة و اتباع سيرة حياة الخلفاء الراشدين رضي الله
عنهم .

ولابد لنا، أن نشير إشارة خاطفة جدا، إلى أن تاريخ
الإباضية قد عرف التحريف والتزييف و الإفتراء عليه
لأسباب سياسية خالصة من طرف الدولة الأموية
و العباسية والفاطمية على السواء .

لأن الإباضية يرون أن الخلافة الإسلامية لا يمكن أن
تكون وراثية. إن القياس الوحيد هو الكفاءة المطلقة
والتقوى وطريق الشورى { وأمرهم شورى بينهم }
(شورى: 38) .

يقول الإمام أبو الأعلى المودودي رحمه الله : (قامت
حكومة مروان و أولاده و فيها وصل تحرر السياسة
وانفلاتها منه بل ذبح أحكام الدين على أعتاب السياسة)
(الخلافة والملك ص: 181) .

وهكذا نجد أن أصحاب المقالات القديمة، وبعض الكتاب المعاصرين ينسبون الإباضية إلى الخوارج أي الإرهاب و التكفير بالمفهوم الحالي لأسباب سياسية فقط من أجل البقاء على كرسي السلطة. إلا أن الدراسات الموضوعية فندت هذه المقولة الراسخة في التاريخ الإسلامي بسبب الحياة الاجتماعية اللاشعورية، ومعنى هذا أن الحياة الاجتماعية و الدينية والعقائدية والخلقية تشكل أحكاما مسبقة في ضمير الفرد والمجتمع مثال على ذلك: نتعجب كل العجب من العالم الهندوسي الذي يقدس البقرة، كإله معبود ويحرم أكل لحمها، بالرغم من عبقريته في الهندسة النووية وصناعته للصواريخ والرياضيات...إلخ.

يقول الدكتور السينغالي عمر با مايلي: " فالإباضية على ضوء ماتقدم ليسوا خوارج بل هم مذهب كأي مذهب إسلامي آخر وإن كان هناك قاسم مشترك بين الإباضية والخوارج ألا وهو رفضهم التحكيم وعدم إقرار شرعية الحكم الأموي غير أنهما مختلفان باختلاف آرائهما ومبادئهما بل لقد حارب بعضهم بعضا. " (دراسة في الفكر الإباضي ص: 74).

ويقول كذلك الدكتور ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي في كتابه- الخوارج والحقيقة الغائبة ص: 411 مايلي :
لؤبناء عليه فلا مجال لقبول تأويل حديث المروق الصحيح أو غيره فيهم وقد بان جليا أن حديث المخرج الذي يقتضي أن يراد به أهل النهروان غير ثابت، بل حكمت عليه السيدة عائشة رضي الله عنها بأنه مكذوب

على النبي (ﷺ) حسبما تقدم ذكره و ذكر النقاش فيه .
ومن الجدير الإشارة إليه أن مثل هذه الروايات تأتي من
الجملة التي شنّها الأمويون ضد أهل النهروان - أي
الإباضية - فقد اتخذوا أساليب عدة للتشنيع عليهم
وتشويه صورتهم تجاوزت إلى الأحلام { وقد جاء كذلك
في كتاب تاريخ التشريع للدكتور السوري الصابوني
مايلي : } بما أن الدولة الأموية تراقب جابرا وغيره
سمتهم كما سمت أكثر معارضيه بالخوارج وذلك
للتكيل بهم والتخلص منهم والقضاء عليهم {.

والأدهى من كل هذا أن وسائل الإعلام التي تدّعي
الموضوعية العلمية لم تتحرر بعد من أصحاب المقالات
القديمة بدعوى أن الإرهاب الإسلامي العالمي يعود،
مصدره إلى الفكر الخارجي الإباضي. فالأستاذ
القحطاني سعيد بن مسفر قدم للجمهور الإسلامي بل
العالمي حصة من خلال قناة اقرأ في الأسبوع الثاني من
شهر جانفي 2004 تمحورت أساسا حول الإرهاب في
العالم كله فقال : إن مصدره يعود إلى الإباضية التي
تعتبر من الفرق الضالة، فراسلته بكتاب، قلت له فيه :
لم تلتزم يا أخي المسلم إطلاقا بالأخلاق القرآنية
والعلمية، فهلا قرأت كتاب حوار بين السنة و الإباضية
و الشيعة للأستاذ عبد الرزاق طوطاوي الجزائري وهو
غير إباضي ؟ حيث يقول في كتابه ص: 68 مايلي :
تعرضت الجزائر منذ استقلالها إلى هزات خطيرة وفتن
مسلحة، لم نجد في هذه الفتن إباضيا واحدا لأن الإباضي

لا يؤمن بالعنف وهو يهرب من الفتن كما يهرب من الكفر و لا يستطيع أن ينكر هذا إلا جاحد . وفي ضوء هذه الحقيقة الواقعية، نلاحظ دعاة الغلو والفتنة يعتمدون على خلفيات مذهبية و أحاديث المروق عن الدين، بدعوى أن الإباضية خوارج . إن دلالة الخوارج دلالة تقييمية كالسعادة ، والجمال والحرية بل تكون محل اختلاف بين الناس والمجتمعات . أما بالمقابل فإن الدلالة العلمية تكون محل اتفاق كالرياضيات: $2+2=4$ أو العلوم الماء يتجمد في درجة الصفر. إن هذه الأحكام موضوعية كلية بعيدة عن الأحكام الذاتية.

فهل حقا أن الإباضية اليوم يتحملون في حكمهم الخاطئ نتائج معركة النهروان وقتل علي كرم الله وجهه سنة 40 هـ من قبل عبد الرحمن بن ملجم العربي العراقي في جنوب العراق،* لو سلمنا بهذا الفكر الجاهلي لكان أعمار الإباضية تزيد عن 1384 سنة وهذا الحكم الفاسد لم يقله ولن يقوله أي إنسان سليم الفكر في الماضي و الحاضر و المستقبل.

إلا أن حكمهم يحمل في مضمونه تلك النتيجة وتجعلنا نستنتج أن هناك بعض الصحابة رضي الله عنهم

* يلاحظ أن الإباضية يكونون الاحترام لعلي كرم الله وجهه، وذلك بتبجيله و تسمية أولادهم بعلي وباعلي ومعنى ذلك باللغة الميزابية الأب الأكبر.

أمازيغيين يحسنون اللغة الميزابية مادام أن هناك فئة من الصحابة والتابعين الأوائل رضي الله عنهم قد شاركوا في معركة النهروان بجنوب العراق وهؤلاء قد قطعوا مسافة 14000 كلم من شمال إفريقيا، أو ميزاب ذهابا و إيابا أو قطعوا 8000 كلم من عمق عمان ذهابا و إيابا إلى النهروان كذلك. إن هذا الحكم فاسد يتناقض مع العقل السليم، و الأحداث التاريخية التي وقعت كلها في جنوب العراق.

ثم إن الإسلام لم ينشر في إفريقيا إلا في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة (40هـ/60هـ) . أما المذهب الإباضي فقد ظهرت بوارده بفضل الداعية الإباضي سلمة بن سعد سنة 135هـ وأما في وادي ميزاب فإن المذهب الإباضي لم يظهر إلا في القرن الخامس الهجري ، لأن الميزابيين كانوا معتزلة ثم تحولوا إلى الإباضية بفضل العالم أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي المتوفى سنة 440هـ*.

نحن نقول: إن الإباضية كانوا بعيدين كل البعد عن الفتن الكبرى ، ولو نسلم بمنطق الخلفية التاريخية واللاشعور الجمعي، سوف نحمل كل أبناء الحجازيين والعراقيين والمصريين الذين أحدثوا الفتن وقتلوا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. و الفتن القديمة .. إلخ هذه حقائق

*راجع الدرجيني : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب

ج 1 ص: 183

تاريخية إذن فلا بد من محاسبة أبنائهم و معاقبتهم، ولكن هذا يتنافى مع الجزاء الإلهي والقانون الوضعي كذلك. يقول الله عزوجل: { ومن يكسب إثماً، فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً } (النساء: 111) { ولا تزر وازرة وزر أخرى } (الإسراء 15) { تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون } (البقرة: 141).

ولكي نضيف إلى هذا التحليل التاريخي قيمته الموضوعية، يستوجب منهجياً بيان العقائد الإباضية مختصرة لتكتمل الصورة أكثر جلاء أمام القارئ الكريم. **العقائد الإباضية :**

قبل أن نستعرض الأصول العقائدية الإباضية، فلا بد أن نشير إلى أن مصادر التشريع عندهم تعتمد أساساً على مايلي:

- 1- القرآن الكريم 2- السنة المطهرة 3- الإجماع 4-
- القياس 5- الاستصحاب و الاستحسان والمصالح المرسلة.

- **التوحيد و الصفات الإلهية :** ويقصد بهذا، أن يشهد الإنسان البالغ أن لاإله الا الله وحده، لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، وأن ما جاء به حق ومن أنكر أحد هذه الأقسام عدّ مشركاً، والإباضية يرون أن صفات الله عزوجل هي عين ذاته، وليست هذه الصفات زائدة ولا محدثة، ولا حالة فيها أو تقوم بها.

- **الإيمان :** هو قول باللسان وتصديق بالقلب، وعمل صالح بالجوارح، إن الإباضية لا يجيزون الفصل بين

القول والعمل، فالدين و الإسلام، و الإيمان ، أسماء لمسمّى واحد وهو طاعة الله عزوجل وتطبيق شريعته، عقيدة وعملا في حياة الفرد والمجتمع.

لنتأمل قول الحق : { ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون }

(الصف:2-3)، { والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } (العصر: 1-2-3).

- **القدر وحرية الإنسان :** فالإباضية يرون أن القدرة من خلق الله عزوجل، وهي مرتبطة بالفعل الذي اكتسبناه ، وبالتالي فإن الإنسان حر في اختياره ليس مجبرا على فعله و لا خالقا لفعله .

- **العدل والوعد والوعيد:** إن الله عزوجل عادل كل العدل في وعده - الجنة - ووعيده - جهنم - فالله صادق في وعده، ووعيده ، إن الخلود أبدي في الجنة والنار -**الشفاعة :** إن شفاعة محمد (ص) لن تكون لمن مات وهو مصر على الكبائر، وإنما تكون للمسلمين عامة، للتخفيف عنهم يوم الحساب، ثم التعجيل بهم لدخول الجنة.

-**لامنزلة بين المنزلتين :** ويقصد بهذا أن الناس قسمان مؤمن وكافر وليس هناك قسم ثالث .

- **المنزلة بين المنزلتين :** ويقصد بهذا أن النفاق بين منزلة الإيمان ومنزلة الشرك فالمنافقون مع المسلمين في معاملاتهم الدنيوية أما في الآخرة فهم مع المشركين .

- نفي رؤية الله عز وجل : إن الإباضية يجزمون بامتناع رؤية الله في الدنيا والآخرة، اعتمادا على الأدلة الشرعية والعقلية بحيث لو أمكن رؤية الله لكان جسما متحيزا موجودا في مكان ما، وهذا تجسيم وتجزئة لصفات الله - يقول الله عز وجل : { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير } (الأنعام: 103) فالرؤية قد تكون بغير البصر، يقول عز وجل { أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة } (يس: 77) { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره } (الزلزلة: 7).

و إنما يعني بهذا العلم و اليقين ولا يريد بهذا الرؤية الحسية البصرية .

- خلق القرآن الكريم : إن الإباضية يرون أن القرآن الكريم مخلوق محدث إلا ما قام الدليل على قدم معناه فقط، كلفظ الجلالة والرحمن الرحيم.

- الولاية و البراءة : إن الإباضية يدينون بالولاية وهي الحب والإخلاص لكل مسلم مؤمن صالح و مناصرته في الله لا غير .

أما البراءة فهي هجرة من هاجر بالبغي والعدوان أو ارتكب كبائر جهرا ولم يتب ومن هنا تنطبق على الكافرين جملة وعصاة المسلمين الذين خرجوا عن جادة الإسلام ولم يتوبوا توبة خالصة .

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : واجبان في كل زمان ومكان على حسب طاقة المسلم .

- الإمامة : إن الإباضية يرون أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تبقى الأمة الإسلامية بدون إمام أو سلطان

مهما كانت الظروف السياسية و الاجتماعية، والا لن تقام الحدود الإسلامية هناك. ومن هنا، لا يجوز الخروج على الإمام العادل، مطلقا سواء كان إباضيا أو غير إباضي. أما إذا كان الإمام ظالما فجاز الخروج على سلطته ولكن ليس بواجب لاسيما إذا كان الضرر أكثر من النفع، ثم إن الإباضية يرون أن الخلافة لا يمكن أن تكون وراثية، ويشترط فيها الكفاءة، الشرعية والمشروعة، كالتقوى والعدالة، والنزاهة والذكاء والعلم. والأخذ بمبدأ الشورى لقول الله تعالى: { وأمرهم شورى بينهم } (الشورى: 38).

وقال ابن عباس قال النبي (ﷺ) " إن أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله " (الجامع الصحيح ج3 ص: 13) . إن هذا الركن السياسي هو القاسم المشترك بين الإباضية والخوارج.

وغني عن البيان أن هناك عدة مصادر تعالج الفكر العقائدي الإباضي بكل أبعاده، فعلى القارئ الكريم يمكنه أن يعود إليها، إذا أراد أن يثري و يعمق فيوسع ثقافته الإسلامية .

ومن بين هذه المصادر مايلي:

- 1) كتاب الموجز في علم الكلام لأبي عمار عبد الكافي
- 2) مقدمة التوحيد وشروحها لابن جميع أبو حفص عمرو
- 3) البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية لفرحات الجعفري

4) مشارق أنوار العقول للشيخ عبد الله بن حميد السالمي
الخلاصة العامة:

أخي المسلم : هذه هي الأصول الإباضية التي تمثل الرصيد الأصيل الثابت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالإباضية إذن تقوم على العقيدة الإسلامية الصلبة لا علاقة لها بالطبقية أو العرق أو الجهوية ومن هنا نجد كثيرا من العرب و البربر و الفرس و الزنوج قد اعتنقوا هذا المذهب الأصيل منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا هذا فبقي صامدا أمام سياسة البطش والمطاردة عبر تاريخه الطويل فقد بقي راسخا في عمان و زنجبار و ليبيا و تونس و الجزائر و غانا .

لنجعل أيها المسلمون كلنا ، غدنا أفضل من ماضينا وشعارنا في هذا كله قول الله عزوجل : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنتظر نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله، إن الله خبير ما تعملون) (الحشر : 18).

وعلى أية حال، فهذه النظرة العامة تجعلنا إن شاء الله، ندرك الحقيقة التاريخية موضوعيا، دون إبهام و مغالطة وتساعدنا على فهم الإشكالية التي طرحها الشيخ حمو فخار تمثلت في تاريخ الإباضية ومشكلة اللامذهبية مع الشيخ محمد بن بابيه الشيخ بلحاج. وما تجدر ملاحظته هنا، أن نشير إلى أن الشيخ حمو فخار لا يعد من المختصين في العلوم العقائدية وفلسفتها ومن هنا نقول إن له بعض العلم دون التخصص في الفكر العقائدي .

إن هذه الحقيقة نلمسها واضحة، في المقدمة العامة التي استقبل بها، الأستاذ الشيخ محمد بن بابہ الشيخ بلحاج، أستاذ الشريعة والتاريخ بمعهد الحياة الذي له باع راسخ في الفكر العقائدي الإسلامي، ومن أهم كتبه: أصول الجمع وکليات الوفاق بين المذهبين الإباضي والمالكي مع تخريج بعض الفروع الخلاقية .

وعلى أية حال فإن شيخنا حمو فخار طلب منه أن يبرز للجمهور أصالة المذهب الإباضي، ومشكلة اللامذهبية في الإسلام، التي ظهرت معالمها في العالم الإسلامي سنة 1970م بزعامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

والجدير بالذكر أن فكرة اللامذهبية أمست تسيطر على بعض الشباب الإباضي الذي لا يثذ عن الشباب المسلم في العالم. واللامذهبية هي نقیضُ المذاهب الإسلامية : الإباضية، المالكية، الحنفية، الحنبلية، الشافعية، الشيعية،

الزيدية. الظاهرية، ومعنى هذا الخروج الكلي عن آراء أئمة المذاهب الإسلامية والاعتماد على القرآن الكريم والسنة و كفی، دون الرجوع إلى اجتهاد الأئمة في القضايا الفقهية وآرائهم في الفتاوي.

أ- الإباضية في مرآة الشيخ حمو فخار :

وفي ضوء هذه الإشكالية المطروحة نترك فضيلة الشيخ حمو فخار يبين وجهة نظره العامة معتمدين على النصوص التي كتبها، وهي الدليل القاطع لإثبات الفكرة أو نفيها حتى لا نقول عليه، أي قول يقول رحمه الله : "أيها المحفل الكريم في هذا اللقاء ليلة الجمعة 16 ربيع الثاني 1404هـ/ 19 جانفي 1984م مع أستاذ الشريعة

والتاريخ بمعهد الحياة بالقرارة، الشيخ محمد بن بابه نريد التعريف بالمذهب الإباضي للجمهور الإباضي خلاصة واضحة جامعة مانعة مفصلة باللغة المحلية عن أصول هذا المذهب الذي ننسب إليه." (وقفات ومواقف ص: 258) .

لقد صنف الشيخ حمو فخار الشباب الإباضي إلى مايلى:
1- قلة رأت التبرؤ منه ومن الانتساب إليه خير ملجأ لتغطية جهلها .

2- ثلة اختارت التهرب من حلبة الحوار كلما ضيق عليها الخناق.

3- وكثرة وثقت، بصحة مبادئه آمنت، فاعتصمت وراهننت وحمدت ولا تزال.

وبعد هذا التصنيف الذي أورده الشيخ حمو فخار رحمه الله، بين أن الإنسان مهما كان، لا يمكنه أن يتصل من تاريخ مجتمعه، الذي يحدد مصيره وهويته شاء أم أبى- لنتأمل هذه الحقيقة النفسية والاجتماعية، بقول رحمه الله: { ولا يفوتني في هذا التقديم أن أنبه إلى جملة أشياء ذات أهمية كبرى في حياتنا كإباضية.

أولاً- إن إنتسابنا نحن الإباضية إلى المذهب الإباضي شيء ورثناه، فقد ولدنا ووجدنا التاريخ قد وضعنا في إطاره دون إرادة منا.

ثانياً- إن الإباضية بالنسبة إلينا أصبحت علامة مسجلة (marque déposée) لا نعرف إلا بها شئنا أم أبينا .

ثالثاً- إن محاولة إقناع المسلمين المقلدين بالخروج من إطارات مذهبهم ولو كان ممكناً. هي في الواقع سياسة

أو حث بها للجماهير الإسلامية لتميعها عن دينها وإيقاع الفتنة في صفوفها .

رابعاً- قد مضت التجربة حسبما نص كثير من العلماء، أن كل من خرج من مذهب وقع في مذهب آخر كما ينتقل مواطن من بلدية لآبد من أن يأوي بلدية مماثلة. (وقفات ومواقف ص: 260)

- إن فضيلة الشيخ حمو فخار رحمه الله، وقف موقفاً واضحاً صارماً مدافعاً عن الإباضية بحيث، يرى أن الإباضية بكل أبعادها العقائدية، والاجتماعية والتاريخية جزء لا يتجزأ من شخصية المجتمع الإسلامي الميزابي هنا؛ لأن شخصية أي إنسان في أي مجتمع تتكون هويته أساساً من العناصر التالية :

أولاً - العنصر الجسماني: الطول، القصر، لون الشعر والبشرة...إلخ

ثانياً - العنصر النفسي: الذكاء، العواطف...إلخ

ثالثاً - العنصر الاجتماعي: أي البيئة الاجتماعية: إن الإنسان اجتماعي بالطبع كما يقول علماء النفس و الاجتماع والتاريخ.

إن هذه البيئة لها مؤثراتها في سلوك الفرد والمجتمع دينياً، وثقافياً و لغوياً وأخلاقياً واقتصادياً ودون أن نتجاهل البيئة الجغرافية وأثرها في هوية الإنسان . كل هذه العناصر تشكل شخصية الإنسان، وسلوكه العام .

إذن فإن حريتنا مقيدة بحتمية ومن هنا، فنحن مجبرون أن نكون مسلمين قبل أن نكون إباضية لا خيار لنا في ذلك وليس لنا أن نخرج عن الإباضية عقيدة وفقها

وتاريخها، ولا يحق لنا الهروب من حلبة الصراع بشرط أن نتسلح بالحجج الناصعة والبراهين الدامغة للرد على خصوم الإباضية، يشترط أن نجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعمالنا.

إن هذه الحقيقة نلمسها جلية، في الدراسات القديمة والحديثة التي لها الشرف الكبير في الدفاع عن الإباضية بأخلاق إسلامية وعلمية تميزت بالطابع الموضوعي، وأخص بالذكر الشيخ علي يحي معمر النفوسي الليبي رحمه الله (1919/1980م). لقد ساهم في إثراء الفكر الإسلامي فصيح افتراءات ومفاهيم خاطئة لصقت بالمذهب الإباضي كالإرهاب والخوارج و تكفير المسلمين... إلخ. أهم مؤلفاته: الإباضية في موكب التاريخ في أربع حلقات - الإباضية بين الفرق الإسلامية.* راجع كذلك : كتاب. الخوارج والحقيقة الغائبة للدكتور ناصر بن سليمان بن سعيد السباعي. بين فيه بالأدلة القاطعة أن أحاديث الخوارج واهية لا تنطبق على الإباضية.

* إن الشيخ حمو فخار هو الذي دفع أخاه الشيخ علي يحي معمر إلى الكتابة في تاريخ الإباضية بدلا من الأدب العربي هذه الحقيقة تبرزها المراسلة التي كانت بينهما. كما بين لنا ذلك كاتبه الخاص الأخ الكريم السيد نجار مصطفى.

ب- مشكلة اللامذهبية في مرآة الشيخ حمو فخار:

إن اللامذهبية في الإسلام، يقصد بها الرجوع في الأحكام الشرعية الإسلامية إلى منابع الإسلام الأولى - أي القرآن الكريم و السنة مع إبطال سواهما - أي الرؤية الاجتهادية لأئمة المذاهب وعلماء الفقه في الأحكام الفقهية و الفتاوي، المختلفة إن هذا الفكر اللامذهبي قد ظهر في الفكر الإسلامي المعاصر بزعامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، صاحب المصنفات في علم الحديث، بحيث قام بعملية نقدية لمتن الحديث ورواته، وبيان حالهم من صدق أو كذب مع وضع قواعد عامة لتصنيف الحديث إلى ثلاثة أصناف: صحيح - حسن - ضعيف.

إن هذه العملية النقدية مع الابتعاد عن آراء أئمة المذاهب في الأحكام الفقهية أحدثت في العالم الإسلامي اختلافا وانقساماً بين مؤيد ومعارض.

وهنا بدأت الدراسات الموضوعية الجادة، حول ماكتبه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في علم الحديث، ولعل في هذا المنظور الفكري نشير إلى أن الدكتور محمد السعيد رمضان البوطي قام بنقد فكرة اللامذهبية في الإسلام وفندها مبيناً تهافتها و تناقضها وذلك في كتابه المشهور اللامذهبية حيث يقول: { فأنا الآن أشد يقيناً بأن اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، وحسب ما ورد في كتابي دليلاً يكشف عن صدق هذه الحقيقة { (اللامذهبية ص: 17) .

وفي ظل هذه الحقيقة النقدية نجد كذلك الأستاذ الكريم حسين بن علي السقاف قام بنقد ما كتب أستاذه، مبينا للعلماء أن دراسة الشيخ الألباني حول علوم الحديث بعيدة عن المعايير النقدية التي طلبها من العلماء لاسيما المتن والسند، هذه الدراسة النقدية تجلت في ثلاثة أجزاء من الكتب سماها- تناقضات الألباني الواضحات- فأحدثت هزة عنيفة وشگا كلياً وانقساماً عند أنصاره .

لنتأمل معاً، أيها القارئ الكريم، ما كتبه الأستاذ حسن بن علي السقاف، حول الأخطاء و تناقضات الشيخ محمد ناصر الألباني التي وقع فيها حيث بين هذه الحقيقة إذ يقول :{ و إنما نقول ونجزم أن من ادعى هذه الرتبة ، لا ينبغي أن تكون له أغلاط و أوهام وتناقضات فاقت ما وقع للأولين والآخرين وبلغت مئات بل تجاوزت ذلك، وهذه السلسلة ستثبت ذلك بعون الله و توفيقه تعالى، وستثبت أنه لا يجوز التعويل على تحقيقاته، و لا الإغترار بتصحيحاته أو تضعيفاته، و هو يعيب على العلماء أشياء ثم يقع فيها } (حسن بن علي السقاف تناقضات الألباني الواضحات ص: 06) .

ولا بد من مثال واحد ، لإثبات البرهان القاطع على ما جاء في هذا الكتاب (214) حديث سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً: " السلام قبل الكلام " رواه الترميذي في سنة (59/5 برقم 2699) قلت: صححه الألباني فأورده في (صحيح سنن الترميذي) .

وتناقض تناقضا عجيبا فحكم بوضعه في مكان آخر بعدما عزاه الترميذي عن جابر أيضا ، وذلك في { ضعيف الجامع وزياداته } (243/3 برقم 3372) قائلا (موضوع) فيا للهول !!! (المصدر السابق : 166) و بعد هذا النقد الموضوعي ، فإن الأستاذ الكريم حسن بن علي السقاف قدم نصيحة ثمينة من خلال أدب الاختلاف في الإسلام حيث قال : { نصيحة أقدمها للشيخ الألباني ... عليك أن تؤلف و تنفتح و تهذب ثم تعرض هذا على المسلمين ، وتقول : هذا ماعندي و أعتقد صوابا ، ولا يحل لك أن تضلل مخالفاك و تصفه بعدو السنة و التوحيد البتة كما هو ثابت عنك ، ولا تحمل الناس على وجوب اتباع كلامك وذلك : لأن إمام أهل الحديث في عصره مالك بن أنس رحمه الله تعالى رفض من الخليفة المنصور ومن الخليفة هارون الرشيد أن يحملوا الناس على كتابه الموطأ لما عرضا ذلك عليه ، ففي ذلك أكبر عبرة لك ولمن أعتبر } (المصدر السابق ص : 201) إذن فإن فضيلة الشيخ حمو فخار له كل الحق حينما قال : (إن محاولة المسلمين المقلدين بالخروج من مذاهبهم توقع الفتنة والفرقة في صفوفها كما هو واقع) (وقفات ومواقف ص : 260) .

و الأدهى من كل هذا أن سماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لم يلتزم بأخلاق القرآن الكريم والسنة الشريفة وأخلاقيات الروح العلمية ، والتسامح والأخوة الإسلامية السمحة يقول الحق تعالى : { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

مسؤولاً. { (الإسراء: 36). وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده. * حديث متفق عليه * . وهكذا فإن الشيخ الألباني لم يحرر نفسه وفكره من أصحاب المقالات القديمة، كمقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري المتوفى سنة 330هـ - لتأمل ما قاله في إخوانه الإباضية: (وأنا أستعد لوضع فهرس من الكتاب وقفت على جزء صغير بعنوان - رسالة في الرفع والضم في الصلاة - تأليف أحمد بن سعود السيابي وهو من الإباضية المعروفين بانحرافهم عن السنة) (صفة صلاة النبي - محمد ناصر الدين الألباني ص: 27 مكتبة المعارف الرياض)

بعد معالجة تلك الإشكالية الإباضية واللامذهبية، يجدر بنا الآن أن نلقي الأضواء على عنصر حيوي في حياة المسلمين، وهو عنصر أدب الاختلاف الذي يهدف إلى ترسيخ الاعتصام بقدسية وحدة الأمة الإسلامية التي هي غاية لكل مسلم سليم القلب والسلوك .

ج- نظرة الشيخ حمو فخار إلى أدب الاختلاف:

- أدب الاختلاف في الإسلام .

إن الاختلاف ظاهرة طبيعية إنسانية أو جدها الله عزوجل في كل المجتمعات البشرية والأمم، جنسا ولغة وعادات واجتهادا، لتأمل قول الحق تعالى: { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .. } (هود: 118-119) .

إن الإشكالية تكمن أن هناك فئات كبيرة من المسلمين
تعتز كل الاعتزاز بانتمائها المذهبي الإباضي أو السني
أو السلفي أو الجعفري... إلخ بدون عمل صالح. إن هذا
الأمر في نظر الإسلام هو الخروج عن عبادة
الخالق، يقول الله عز وجل: {إن هي إلا أسماء سميتوها
أنتم و آبائكم ما أنزل الله بها من سلطان..} (النجم: 23).
وفي ضوء هذه الآية الكريمة نجد بعض المسلمين
يكفرون إخوانهم المسلمين بدعوى أن مذهبهم هو الأصح
و الأسلم وذلك با تباع أقوال و فتاوى علمائهم ولو كانت
الفتاوى تناقض الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث
الصحيحة و قدسية ووحدة المسلمين، وحفظ الدين والنفس
، والمال والعرض.

وهذا في نظرنا شرك و جحود و فتنة...لنتأمل قول
الحق تعالى: {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم و إن
الظالمين لهم عذاب أليم } (الشورى: 21) .

نحن إنن أمام ازدواجية خطيرة جدا، بين حكم الله وحكم
البشر و على العالم أن يلزم بنفسه وغيره بالإخلاق
القرآنية . الورع والتقوى والحق وحب الخير والعلم {
وقل رب زدني علما } (طه: 114). وإن يؤمن بأن
اختلاف المذاهب الإسلامية في الفروع هي سنة الله في
البشر، و أن يحافظ على قدسية وحدة الأمة الإسلامية،
التي هي غاية الغايات لكل مسلم صالح واع. يقول
فضيلة الشيخ حمو فخار رحمه الله: {لعل من الخير أن
يصدق من يدعي أن اختلاف المسلمين سببه اختلاف

المذاهب وتعددتها... فاختلاف المذاهب اختلاف في وجهات النظر بين العلماء ليس إلا، واختلاف العلماء رحمة وقديما قيل: <اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية>. وما مثل المذاهب الإسلامية إلا كالدول الإسلامية، ومن يريد إلغاء المذاهب كمن يريد إلغاء الحدود، وليس ذلك بإمكان .

فعلى المسلمين أن يتحدوا على أساس احترام الحدود كما اتحدت الولايات المتحدة، فكانت أقوى دولة في الأرض، على أساس إحترام حدود ولايتها لا على أساس إلغائها.

أما السنة النبوية فمملكة الجميع العظمى، تعددت ولاياتها ورفرف عليها علم القرآن وجمع بين أجزائها {و إنما المؤمنون إخوة} (الحجرات:10) وحكمها العدل وحفظ كيانها الشامخ التآزر (وقفات ومواقف ص: 261) إن هذا النص الذي كتبه الشيخ حمو فخار، يعبر عن رؤيته الصادقة الساعية إلى الاعتصام بقديسية وحدة الأمة مهما اختلفت رؤية علمائها في القضايا الفرعية التي تتم عن رحمة الإسلام في تلك الأحكام الاجتهادية . و أن نؤمن إيمانا راسخا، بأن اختلاف المذاهب الإسلامية على أساس الاحترام المتبادل هو سنة الله في البشر لا يمكن إزالته من الوجود، مهما بذلنا من جهد فكري أو مادي . فلا بد من احترام هذا الاختلاف كالحدود بين الدول التي تكون عامل ترابط و وئام ... لا عامل انفصال وزراعة الألغام . وهذا الاختلاف لا يفهم إلا في إطار المعرفة

والتعارف والإعتراف ، كما يرى ذلك الشيخ علي يحي معمر رحمه الله.

ومن المفيد أن نستشهد في ختام هذا البحث المختصر بآراء بعض العلماء في أدب الاختلاف . يقول شهيد الإسلام حسن البنا رحمه الله:

{ والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره } (مجموعة الرسائل حسن البنا ص: 16). أما الأستاذ طه جابر فياض العلواني فيقول : إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة - ولا يزال واقعا جزء من هذه الظاهرة الطبيعية فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزمت أدبه كان ظاهرة ايجابية كثيرة الفوائد (أدب الاختلاف ص: 26) .

وأخيرا نقول : إن الاختلاف الفقهي في الفروع، إذا كان قائما على قيم خلقية وعلمية سيكون رحمة بين المسلمين، و عامل معرفة ووحدة ولن يسمى هذا الاختلاف بدعة أو مروقا من الدين ومعالمه ، بحيث يبعدنا عن الجدال العقيم الذي هو آفة المسلمين قديما وحديثا.

وأخيرا : علينا أن نلتزم بقول الله عزوجل : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } (سورة النحل : 125).

هذا هو الطريق والسبيل الذي سلكه فضيلة الشيخ حمو فخار رحمه الله.

وبعد هذه اللوحة القصيرة عن حياته وجهاده الشاق الذي تحدى كل العوائق المادية و الاجتماعية و السياسية بعزيمة قوية وإيمان راسخ، فإن الله عزوجل قد اختاره إلى جواره يوم 10 ربيع الثاني 1426هـ/ الموافق: 17 جوان 2005م سيكون إن شاء الله مع الأنبياء والصالحين في جنات الخلد آمين... {{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا {{ (الكهف: 107) . صدق الله العظيم.

وجدير بنا، أن نلتزم بسيرة هؤلاء العظماء لنرد الجميل.

و السلام

- الخاتمة -

إن هذا الكتاب، يعتبر أحد روافد تاريخنا المعاصر، فقد بين لنا معالم شخصية فضيلة الشيخ حمو بن عمر فخار رحمه الله، نفسيا و اجتماعيا.

و هو يمثل واقعية تاريخية اجتماعية ، تجسمت في رجال الحركة الإصلاحية التي تعتبر عنصرا فعالا وحيويا في مسيرة تاريخ غرداية وميزاب والجزائر.

ثم إن هذه الدراسة الموجزة، قد اعتمدت على النصوص المباشرة التي أزلت كل لبس وغموض أمام القارئ الكريم، فتجعله يطمئن موضوعيا للمنهج الإستنتاجي الذي سلكناه بدلا من طريقة السرد والرواية .

و أنا على يقين، أن القارئ الكريم سيقول: إن هذا الكتاب في حاجة إلى تحليل عناصره أكثر عمقا مع إحاطة شاملة لتلك العناصر .

أقول إن القارئ له الحق ولكن ليس له كل الحق، لأن القراء اليوم يميلون إلى الكتب الصغيرة بدلا من الكتب الكبيرة، بسبب الظروف المادية والنفسية التي يعيشونها.

وأطلب من هؤلاء أن لا يحكموا علي بقول الشاعر.
فإن رأوا زلة طاروا بها فرحا
مني وما وجدوا من صالح دفنوه

إن الإنسان قد يصيب الحق وقد يعدل عنه، وقد نجد في الكتاب بعض الثغرات، فالكمال المطلق من صفات الله عز وجل .

وأخيرا أقدم جزيل الشكر والاعتراف بالجميل لكل الذين قدموا لنا يد المساعدة مادية أو معنوية لطبع هذا الكتاب .

ونسأل العلي القدير أن يجعل أمتنا الإسلامية أمة القرآن حقا، صالحة في أقوالها و أعمالها، ونتمنى أن يصدق فينا قول الله عز وجل: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه، حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} (النحل: 97) صدق الله العظيم.

رجاؤنا أن نكون إن شاء الله من هؤلاء في الدنيا والآخرة آمين.

و السلام

- ملحق الكتاب -

وفي ظل هذه الحقائق التاريخية، يحسن بنا، أن نقدم للقارئ الكريم مقالا تحت عنوان - نماذج من الإدارة الإسلامية عند الإباضية بني ميزاب كتبه الأستاذ اللبناني عز الدين مصطفى جلولي في المجلة اللبنانية: الوحدة الإسلامية العدد 49 - ديسمبر 2005 م . إن هذا المقال مصدره الرواية والمقابلة التي جرت بين صاحب المقال و المرحوم شيخنا حمو بن عمر فخار قبل وفاته، مع تزويده ببعض الوثائق .

إن هذا المقال تمحور أساسا على الملامح التاريخية لوائي ميزاب و الحركة الإصلاحية، فالقارئ الكريم سيقول بعد قراءة هذا المقال هذا هو المجتمع المسلم الفاضل الذي يجب تحقيقه في عالمنا الإسلامي . إن الأخلاق الإسلامية والنظرة الموضوعية النقدية توجبان علينا أن نقول مايلي :

- (1) إن المجتمع الميزابي الإباضي توجد فيه بعض الإفرازات السلبية و الثغرات الإجتماعية، قديما و حديثا كبقية المجتمعات البشرية في سلوكها العام .
- (2) نرفض التركيز المطلقة لأي مجتمع ومذهب لتأمل قول الله عزوجل {{ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء }} (النساء:49) .

ملحق الكتاب { نماذج من الإدارة الإسلامية عند إباحية بني ميزاب }
بقلم الأستاذ عز الدين مصطفى جلوي (شهرية لبنانية العدد 49):

لم تكن عودتي إلى الجزائر هذا العام مملة رتيبة،
كما تعودت في سنين غربتي الأولى، فانقطاعي
المتواصل عن موطني الأم طيلة سبع سنوات جعلني
أطلع إليه بعقل متزن متوازن، وبعين فاحصة ناقدة،
شحذتها أعوام من التجارب و أنضجتها خبرات
كثيرة متراكمة، وغذتها دراسات متخصصة في
الدين والعمران، حملت إلي انطبعا وأنا أجوب
الفيافي والقفار بأن الجزائر بلد ثري ثراء لايزال
على أصل الخلقة و أن هذا البلد معطاء لو قيض له
بنون عاملون شاكرون.

تناهت إلى مسامعي بعيد وصولي إلى بلدي البيرين،
التي تبعد مائة وثمانين كيلومترا جنوب العاصمة
الجزائرية، وفاة علم من أعلام الإباحية في غرداية،
إحدى ولايات الجنوب الجزائري، وهو الشيخ حمو
ابن عمر فخار تغمده الله تعالى بوسع رحمته؛
فوجدت في هذه المناسبة المحزنة فرصة سائحة
لتحقيق حلم طالما هفت نفسي إليه، وشوقني إليه ما
قرأته عن مآثر هذا الوادي العظيم، خاصة فيما
يختص بدوره الريادي في التربية و التنقيف. وقد
بدت لي دياره بعدما وصلت إليه معزيا-كما قيل
لي عنه و قرأته، موفور الفضل على بنيه وواديه ،
ما دعاني مجددا إلى عقد النية تارة أخرى لزيارة

تكون الإقامة فيها أطول، و اللقاءات مع فضلائها أكثر.

كنت قبل سماعي خبر الوفاة أتنقل بين ولايات الجنوب واصلا للرحم و سائحا، ولما عزمتم على شد الرحل إلى غرداية كنت قد وصلت مع عائلتي إلى عاصمة الواحات الأغواط؛ فاستقلت من محطة العابرين مقعدا في حافلة متوسطة الحجم، اعتادت على قطع المسافة بين هذه المدينة وغرداية في غضون ثلاث ساعات ونيف، هي طول الفترة الزمنية التي يستغرقها اجتياز مائتي كيلومتر في مثل هذه المراكب المتثاقلة .

تقع ولاية غرداية شمالي الصحراء الجزائرية، ومقرها يبعد مسافة 600 كلم جنوب العاصمة، ومساحتها الإجمالية تقدر بحوالي 86105 كلم مربع (أي ثمانية أضعاف مساحة لبنان)، امتدادها الطولي من الشمال إلى الجنوب يقدر بـ 450 كلم، و العرضي من الغرب إلى الشرق يقدر بـ 200 إلى 250 كلم ، ومستوى ارتفاعها عن البحر 468مترا. كما قدر سكانها حسب إحصاءات 2003م بـ 334754 نسمة، النصف منهم يقطن سهل وادي ميزاب .

في مطلع الفترة الإسلامية (القرن 5هـ / 11م) كان يعمر المنطقة بنو ميزاب بن بادين من بني واسين، أحد فروع قبيلة زناتة الأمازيغية، الذين كانوا شبه رحل يعتمدون في حياتهم على الزراعة

وتربية الماشية، ثم التأموا في تجمعات سكانية وبنوا لهم قصورا تذكر الروايات أن عددها بلغ عشرين قصرا، اندثر معظمها وبقيت منها بعض الشواهد والأطلال. منها القصور السبعة المشهورة : العطف و بنورة و غرداية وبنو يزقن ومليكة وبريان والقرارة، وهي اليوم أسماء مدن وحوضر، حباها الله تعالى بأولي النهى يديرون شؤونها إدارة حكيمة مستوحاة من نظام الحكم في الإسلام، توارثت أمانتها الأجيال كابرا عن كابر، وامتد حبلها بتهرت حاضرة الدولة الرسمية الإباضية المذهب ؛ فتعنتت صلاتهم بتلك العوائد و القيم، فغدت تقاليد راسخة، تنوء عن اجتثاثها العاديات و الأيام.

مجالس ثلاثة تدير شؤون العباد في هذا البطن الأمازيغي الأصيل: مجلس عمي سعيد، ومجلس العشيرة، ومجلس الأعيان، أنيط بكل مجلس منها دور خاص به لا يتعداه، لتتكامل جميعها في خدمة المجتمع و إدارة شؤونه الدينية و الزمنية. وقرارات هذه المجالس ملزمة للجميع إلا من ند عن العشيرة وشرد عن الجماعة، ولهذا الشارد من الروادع ما يقيه عواقب فعله إن هو خالف سبيل المؤمنين.

مجلس عمي سعيد، أو مجلس الأمة الميزابية كما يسميه البعض، أعلى هيئة دينية في عشائر بني ميزاب، وهو مجلس يحظى باحترام معنوي كبير، يمكنه من بسط سلطته على الناس ويلقى ما يصدره من قرارات به قبولا واسعا. يعنى المجلس بمسائل

الدين و الروح، ويفصل في قضايا الأوقاف. يتشكل المجلس من أعضاء ينتدبهم مجلس العزابة في كل قصر (مدينة). و العزابة لفظ مشتق من العزوب، ومعناه العزوب عن الدنيا و الزهد فيها. ويتم اختيار أعضاء مجلس عمي سعيد ممن تنتدبهم مجالس العزابة في كل منطقة، شريطة أن تتوفر فيهم الاستقامة الخلقية وأن يكون كل فرد منهم رجل إجماع بين أهله و ذويه.

ولكل عشيرة من بني ميزاب نسبة من الممثلين داخل المجلس حسب كثرتها. وينتخب مجلس الأمة هذا رئيسه (شيخ العزابة) من بين هؤلاء الأعضاء، شريطة أن يكون أعلم الأعضاء. ويتولى الرئيس مهمة الوعظ و الإرشاد و يدير جلسات المجلس، كما الشأن مع الشيخ عدون سعيد شريفي ومن قبله الشيخ بكلي عبد الرحمن ومن قبلهما الإمام ابراهيم بن عمر بيوض عليهم رحمة الله أجمعين.

يتولى مجلس العزابة في كل مدينة إدارة شؤون البلدة الموكل بها. وما استعصى على أعضائه يرفع إلى مجلس عمي سعيد، الذي يجتمع كل شهر لينظر في ما رفع إليه من قضايا. ومن مهام العزابة -الذين لا يتميزون شكلا عن الناس إلا في أوقات الصلاة حيث يلبسون عند دخولهم المساجد لباسا مميزا يعرفهم به المصلون و الغرباء ومن له حاجة - فمن مهام هؤلاء تعيين أئمة المساجد و المؤذنين ووكلاء

الأوقاف ومعلمي القرآن الكريم (معلمي المحاضر)
و الغسالة الذين يتكفلون بتجهيز الموتى وتكفينهم .
للمسجد في بني ميزاب دور بذكر بدوره الريادي
إبان الحكم الإسلامي، يشرف على أنشطته العزابة .
ومن وظائف المسجد في مدن الوادي تنظيم العسة،
وهو نظام متوارث منذ القدم، ربما أملاه ذلك
التطاحن بين الدويلات التي حكمت المسلمين في بلاد
المغرب، الأمر الذي دفع إياضية الرستميين إلى
العزلة في واد شمال الصحراء الجزائرية، ألجأتهم
إليه ضرورات أمنيته و سجايا خلقية .

بقي نظام العسة هذا معمولاً به في غرداية على
الخصوص، وله شروط ومعايير معلومة لدى
الأهالي، فهو عمل تبرعي غير ملزم لأحد بعينه يقوم
به المتأهلون دون غيرهم من العزاب، نصيب كل
حارس منهم ليلة واحدة كل ثمانية أيام مداورة،
بحيث تنتقل دالة كل فرد على كل أيام الأسبوع، بدل
بقائها يوماً معلوماً كل سبعة أيام. يقوم العاس بالسهرة
على حفظ أموال الناس وصون أعراضهم، فيمنع
المعتدين على الدكاكين و الحوانيت وينهى الفساد
في الشوارع عما يغضب الله، ويضرب على أيديهم
إن هم أساءوا الأدب. ولا يخفى ما في هذه المهمة
من تربية النشء على الرجولة والشجاعة وتحمل
الصعاب ومواجهة المخاطر، ولا يخفى أن هذا الخلق
الإجتماعي الرفيع مرتبط أساساً بما عرف عن

المذهب الإباضي من تشدد في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ينتظم الشباب الميزابي في جمعيات تربوية وتعليمية، تعمل تحت إشراف مجلس العزابة، وتسير وفق قانون خاص، تستهدف تحفيظ القرآن الكريم وتنظيم حفل الإختتام. ومن هذه الجمعيات منظمة (إروان)، التي يتولى أفرادها عمارة المساجد بالذكر وتلاوة القرآن الكريم، وعمل هذه المنظمة رديف لعمل العزابة، ولأعضائها المرتبة الأولى في الصلاة بعد العزابة، امتثالاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: > ليليني منكم أولو النهى والأحلام<

ثاني تلك المجالس التي تدير الشؤون الاجتماعية لإباضية بني ميزاب مجلس العشيرة، وهو مجلس يتكفل بالأرامل واليتامى وينظم الأعراس والمآتم ويرعى شؤون الشابات والشباب .

ففي غرداية مثلاً ثلاث وعشرون عشيرة. تسعة عشر لإباضية وثلاث للمالكية : فريق المذابيح، واحد لمختلف النازحين إليها تجمع شتاتهم، أما فريق المرازيق من المالكية الأصلاء في البلد فمدمجون في العشائر التسعة عشرة، ولكل فخذ في العشيرة مجلس عائلي لشؤونه الخاصة، له رئيسه. ومن رؤساء الأفخاذ يتشكل المجلس الأعلى للعشيرة، ومن بينهم ينتخب رئيسها المعتمد لدى السلطات الزمنية ولدى الهيئة الدينية في البلد، أما النازح الإباضي من

عشائر القرى فيلحق عادة بإحدى العشائر الإباضية ويسمى نزيلها.

يتألف مجلس العشائر من الشيوخ والشباب، والأصل في دور هذه الهيئة العمل على تحقيق صلة رحم بين العائلات. يحدث اجتماع المجلس كل خمسة عشر يوما دوريا أو كلما جد في الحياة جديد؛ فيستعرض الأولاد في هذا اللقاء مواهبهم وينشدون أمام أولياء أمورهم و أمام من حضر من أعيان العشيرة، و يتداول الكبار شؤون المحتاجين والفقراء، ويشرفون على تزويج الأرامل و المعوزين، ويصلحون ذات البين، ويفكون المنازعات بين الناس مهما عظمت، ويتفقدون المرضى والمعسرين، ومن له حاجة إلى دار أو سكنى. ويدخل ضمن مهامهم الاعتناء بالبطالين والباحثين عن عمل، فيعرض شأنهم على رجال الأعمال و أصحاب المعامل

و الورش لتوظيفهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. كل ذلك يتم تحقيقه في إطار من التعاون والتكافل، مستفيدين مما تدره الزكاة من أموال توظف وغيرها من العبادات المالية في صالح الجماعة والعشيرة؛ ولهذا ينذر أن تجد بين بني ميزاب بطالا أو متسولا أو متسكعا.

ولكل عشيرة دار خاصة بها، تقيم فيها أعراسها و أفراسها، كالعقيقة (وهي الوليمة التي تقام بمناسبة المولود الجديد) و الوكيرة (الوليمة التي تقام بمناسبة بناء بيت أو فتح محل جديد).

بقي مجلس ثالث هو مجلس الأعيان، وهو مجلس ينسب إلى الشيخ باعبد الرحمن الكرثي*، ويختص بالشؤون السياسية، على شاكلة الانتخابات العامة أو متابعة الأمور التي لها على علاقة مع الولاية (المحافظة) أو الوزراء أو الرئاسة. ويتألف أعضاء هذا المجلس من أعيان كل بلدة من أهالي بني ميزاب، كالنواب في البرلمان و إدارات الدولة ورؤساء البلديات ورجال المال والأعمال.

تلكم هي أهم تشكيلات الإدارة غير الرسمية لدى إياضية بني ميزاب، وهي تشكيلات فاعلة جدا في واقع الناس، كاد أن يستغني بها سكان الوادي عن السلطات الرسمية، بل لقد كان في انضباطهم بإدارة حكمائهم إراحة للمسؤولين التابعين للدولة الجزائرية؛ لذلك اكتسب الميزابيون احترام السلطة وثقتها، وكثيرا ماكانت ترخي صرامتها في تطبيق القوانين إذا لمست منهم معارضة، كما حدث في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين عندما أصدر قانون التأمين، الذي بوجبه أمتت الدولة قطاعات واسعة من أملاك الناس الموروثة من عهد الاستعمار، ومنها المدارس الحرة التي كانت ولا تزال يحتضنها وادي ميزاب .

* من علماء القرن السادس الهجري بوادي ميزاب، له مسجد قبلة مقبرة مليكة، تتعقد فيه جلسات المجلس الأعلى لميزاب تعالج فيه المشاكل الإجتماعية، وقد توفي خارج ميزاب رحمه الله.

لقد كان أكثر اهتمام الإباضية في الجزائر - من الناحية الاقتصادية - بالتجارة والصناعة، وبدا مؤخرا اهتمامهم بالفلاحة بعد صدور قانون استصلاح الأراضي، وهو قانون قدمت الدولة بموجبه تسهيلات واسعة لمن يريد أن يستثمر في هذا المجال.

يبقى الآن الحديث عن الحياة الاجتماعية التي يحياها الناس في هذا الوادي، وهي حياة وادعة مستقرة، تتسم بالعفة و المحافظة و الطهر و ببساطة العيش، على هدي من الوعي الذي ينشره بين الناس علماء عاملون ومصلحون ورعون، وكان من الطف ما أصدر هؤلاء قانون ينظم الأعراس والمآتم، صاغوه في واحد وستين مادة من أوعي مايكون تحريرا ومحررا، اشترك فيه أولو الرأي الحصيف والحكماء من الرجال والنساء، التقت فيه كلمتهم جميعا على مقاصد حسنة جميلة، تيسر على الناس سبيل الزواج وتخفف عنهم تكاليفه، وتوفر لهم فيه الجهد و الوقت، اللذين هما أنفس ما يملك الإنسان في الدنيا؛ لأن الزواج - كما في الشريعة السمحة - عقد قران بين روحين، لا مناسبة للمراعاة و التفاخر، على ما هو شائع اليوم بين الناس. لقد كان هذا المقصد السامي من الزواج الضابط الأبرز لمنظمي هذا القانون في كل مواده وبنوده؛ فحبذا لو اقتدى به المؤمنون في مناسباتهم كلها.

من تلك اللوائح التي تنظم الأعراس مثلا مانصت عليه المادتان (15) و(16) من هذا القانون: >يمنع تتويج الأوروبي للعروسة (لافوال و التاج)، فالنمط التقليدي أجمل و أبرك وأقل تكلفة.. فلا يجوز أخذ العروسة إلى بيت زوجها بأكثر من سيارتين، ويمنع التجوال بالعروسة في الشوارع و إطلاق أبواق السيارات، ويمنع اصطحاب البنات غير متزوجات > . ولتخفيف الأعباء على أهل العرس اكتفي بحفلة واحدة، في المادة (22): >> العرس يكون بحفلة واحدة في ليلة التتويج في دار العرس أو الحجرة، وفي الحجرة أحسن، وتشتمل الحفلة على قراءة القرآن وتتويج العريس وتناول وجبة العشاء يعقبه حفل فني بأدب إسلامي و أناشيد هادفة بلا لهو أو مجون<< .

ومن مشاهد التكافل بين أحفاد واسين إقامة الأعراس الجماعية في يوم واحد، التماسا للبركة وتخفيفا للتكاليف على الجميع، وقد نصت المادة(26) على مايلي: { ومن الأحسن جمع الأعراس الواقعة في نفس اليوم في حفل واحد مشترك ولا داعي مطلقا إلى أن يحمل المهنئون إلى الحفل شيئا من الكاوكاو و الشاي و الكاتو كما يقع سابقا، ولهذا الحفل قيمة خصوصا لأنه للإرشاد و إبراز المواهب وشغل الوقت }

ولم تغفل لوائح إصلاح أنظمة الأعراس معالجة ما يشيع بين النسوة من تفاخر وتباه لا يليق بأداب اللقاء

بين المؤمنات، فنصت المادة (37) مايلي : >> نرشد النساء إلى فضيلة التحرر و التخلص من عادة المباهاة باللباس والذهب، ونوصيهن بعدم استعارة الذهب للتخلي به في الأعراس والمناسبات العامة، لما في ذلك من مخاطر و احراج، كما نوصيهن بالتزام اللباس التقليدي الساتر المحتشم، ونستتكر بدعة تغير البذلات في الحفلة الواحدة والتزين بزي الفاخرات و المتبرجات والتعطر قبل الخروج، ونوصي بالاعتدال والحكمة في تزيين البنات والذوق في استعمال المساحيق << .

وأوصت اللوائح على مراعاة المقاصد السامية من هذه الأنظمة في المآتم أيضا، كي لا يجد المغالون سبيلا لإفساد السنن الحسنة الموروثة عن شيم الصالحين، وكي لا ييأس فقير فيدب في نفسه القنوط من الحياة، فالحياة الدنيا عابرة، وكل ساعة من عمر الإنسان موضوعة لفرح المؤمن ومتاحة أمامه لفعل الخيرات و اجتناب المنكرات و الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يحزن الذين آمنوا، وأي حزن أكبر من أن تذهب العوائد السيئة ببهجة المناسبة و صفاء اللقيا. وقد جاء في المادة (57) ما يشير إلى أهمية تفعيل تلك الأنظمة في المآتم أيضا: >> لا يزيد عدد عشاءات الميت على ثلاث لأنها صدقات موصى بها، والزيادة فيها إجحاف بالورثة، ويمنع تقديم الشاي فيها، ويجب أن يكتفي فيها بمن حضر من الأبناء والأقارب لقراءة القرآن والدعاء <<

لم تك هذه التقاليد الحميدة وليدة طفرة من أمرها، بل كانت دونها أزمنة وعقبات، بدأت طلائعها مع محمد ابن بكر في القرن الرابع للهجري، ثم توالى جحافلها متدفقة بين مد و جزر، حتى تفعل دورها مع الحركة الإصلاحية التي بدأت طلائعها بعودة البعثات العلمية من تونس مزودة >> بالمعرفة و الذوق السليم والغيرة الغائرة، ثم تبلورت وتمكنت لما صار لها طلائع العائدين من القرارة ردئا وسندا>>.

أقد كانت جيوش الإصلاح تسير على خطى ثابتة بيّدة، تشرئب أعناق جنودها إلى غد مشرق يرونها ريبا، ارتضاه القادة للأمة مستقبلا، وربوا أجياله على حبه والوفاء له، وأورثوا تلاميذهم راياته في كل ساحات الحياة؛ فدينيا عمل علماء بني ميزاب على نشر السنة وإماتة الخرافة والبدعة، وثقافيا سعوا إلى محو الأمية وتعميم الثقافة العربية، اقتصاديا اعتنوا بالحرف اليدوية وطوروا التجارة والصناعة، واداريا دفعوا الناس إلى التوظيف العامة والمشاركة في دوائر الحكم و الدولة، واجتماعيا -كما عرضنا سابقا- نظموا مجالس العشائر والأسر، وأصلحوا مراسيم أفراحهم و أتراحهم، ودعوا الناس إلى> العلاج والتطبيب خاصة في التوليد والتلقيح ضد الأمراض الفتاكة، فقد كان في الأمة ضحايا لاتعد ولا تحصى من جراء الاعتقاد السائد أن استعمال الدواء ينافي التوكل، والتعرض للطبيب خاصة المرأة عصيان وإلقاء بالنفس إلى التهلكة. وأخيرا

سياسيا بخوض المعارك الانتخابية لتولية الأكفاء،
وابعاد الخونة والمرترقة والمفتونين بحب الزعمة
لإشباع ميولهم وملء جيوبهم>.

ذلكم هو الشارع الميزابي، مثالا لكل من أراد أن
يقتدي و يتأسى، وجوبا كافيا لمن طلب دواء شافيا
لعل الإدارة والحكم في بلاد المسلمين، أو لمن سأل
عن قدرة الإسلام على قيادة الحياة، بعدما تبدلت
الأرض غير الأرض والحاجات، وكأن لسان حالهم
يشكك في نجاعة النظام المستمد أصوله من الدين في
إسعاد الإنسان .

لقد استطاع إياضية الجزائر، على الرغم من القرون
العجاف، في المضي قدما بدرب النجاحات تلو
النجاحات شهد لهم بها العرب والبربر من مالكية في
الجزائر قبل غيرهم، وأصبح الناس في أوقات جدهم
وهزلهم يتتدرون على الميزابيين حرصهم على تنمية
المال وزيادة الأعمال، ناهيك عن التسليم لهم بالقيم
الفضيلة التي يتحولن بها بين قبائل السهوب
والصحراء. وهم - على قلة عددهم ونفوذهم -
أعطوا أنموذجا يحتذى لكل من ينتظر حكومة
إسلامية يمن الله بها عليه، تتولى إدارة شؤونه على
هدي الإسلام الذي يطمح إليه المسلم الذي يطمح إليه
المسلم ويريد، ليبقى الدرس المستفاد أن لو استقاموا
على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه،
والمبارة نحو الخير خير مما ينتظرون.

أهم مصادر البحث-

- 1- القرآن الكريم
- 2- وقفات ومواقف للشيخ حمو بن عمر رحمه الله -
المطبعة العربية-سنة 2002م
- 3- كان حديثا حسنا للشيخ حمو بن عمر فخار -المطبعة
العربية غرداية 2000م
- 4- أضواء إسلامية على المعالم الإباضية بكير بن سعيد
أعوشت - المطبعة العربية 1999م
- 5- رجال خالدون في ذاكرة الإسلام. بكير سعيد
أعوشت 1994 م
- 6- وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية. بكير
سعيد أعوشت المطبعة العربية 1991م
- 7- مسيرة الإصلاح في جيل .للشيخ عبد الرحمن بن
عمر باكلي .المطبعة العربية 2004م
- 8- اللامذهبية محمد السعيد البوطي - دار الهدى
الجزائر
- 9- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل - للشيخ
محمد الغزالي .دار المعرفة الجزائر
- 10- دراسة في الفكر الإباضي عمر بن الحاج محمد
صالح بابيه .الطبعة الثانية .مسقط عمان
- 11- أدب الاختلاف في الإسلام . جابر الفياض
العلواني .دار الشهاب باتنة

- 12- الخلافة والملك للإمام أبي الأعلى المودودي -
شركة الشهاب الجزائر 1988م
- 13- مقابلات مع شخصيات صديقة ووفية للشيخ حمو
ابن عمر فخار ، ذات إطلاع واسع بحياة الحركة
الإصلاحية ومسيرتها الجهادية بغرداية وميزاب
والجزائر . وتخص بالذكر
- 1- الأستاذ الكريم الشيخ صالح الحاج عمر بن
صالح عضو بارز في هيئة العزابة وجمعية الإصلاح
بغرداية .
- 2- السيد الكريم: أعوشت الحاج إدريس بن
الحاج سعيد عضو بارز في هيئة العزابة و رئيس
جمعية الإصلاح بغرداية .
- 3- الأستاذ الكريم بشيش الحاج محمد بن إبراهيم
عضو بارز في هيئة العزابة ومدير معهد الإصلاح
للبنات بغرداية .
- 4- الأستاذ الكريم الحاج موسى الحاج عيسى بن
سليمان عضو بارز في هيئة العزابة ومدير معهد
الإصلاح للذكور بغرداية
- 5- الأستاذ الكريم نجار مصطفى بن عمر كاتب
و أمين السر للشيخ حمو فخار وعضو فعال في جمع
التراث المحلي والإسلامي .
- 6- ملحق الكتاب : نماذج من الإدارة الإسلامية
عند الإباضية بني ميزاب بقلم عز الدين مصطفى جلولي

- الفهرس -

- الإهداء
- مقدمة للشيخ صالح الحاج عمر بن صالح
- مدخل البحث
- الفصل الأول
- لمحات عن شخصية فضيلة الشيخ حمو فخار
- الفكر الإصلاحى مفهومه و دلالاته
- 1- لمحة عن حياة الشيخ حمو فخار
- 2- أثر معهد الحياة في الشيخ حمو فخار
- 3- رؤيته العامة في أهداف الإصلاح
- 4- الشيخ حمو فخار أخلاقه
- 5- الشيخ حمو فخار جهاده التربوي و الإجتماعي.
- الفصل الثاني
- الإباضية واللامذهبية في منظور الشيخ حمو فخار
- لمحات عن تاريخ المذهب الإباضي
- أ- الإباضية في مرآة الشيخ حمو فخار
- ب- شكله اللامذهبية في مرآة الشيخ حمو فخار
- ج- نظرة الشيخ حمو فخار إلى أدب الاختلاف
- الخاتمة
- ملحق الكتاب
- أهم المصادر البحث
- الفهرس .

إصدارات المؤلف-

- 1- دراسات إسلامية في الأصول الإباضية .
- 2- القرآن ومذهب داروين
- 3- أضواء على الأخلاق الإسلامية المعاصرة.
- 4- إسلام اليوم بين الأصالة و التحريف.
- 5- وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية .
- 6- حركة أهل الدعوة و الإستقامة في مكة والمدينة .
- 7- نفحات من السيرة
- 8- رجال خالدون في ذاكرة الإسلام
- 9- مسلمات صالحات في روضة الإيمان بمعية الأستاذ أحمد كروم
- 10- الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديما و حديثا
- 11- الإسلام ومدرسة فرويد
- 12- دراسات تحليلية في موضوعات فلسفية
- 13- أبو يعقوب يوسف الورجلاني والمدارس الكلامية
- 14- الإمام إبراهيم بن عمر بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر .
- 15- قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش.
- 16- ميزاب يتكلم تاريخيا عقائديا إجتماعيا
- 17- جماعة الدعوة والتبليغ بين القبول والرفض.
- 18- الوجيز في المنطق : مخطوط
- 19- أضواء إسلامية على المعالم الإباضية .

